إهداء
إلى معالي الأستاذ الدكتور
عبد الحليم عبد اللطيف
مع وافر التحية
عبد الجواد
١٤٤٢/٦/٧ هـ

نقض بلاغي لعلاقات مزعومة بين القرآن ونظرية دارون

الدكتور
عبد الجواد محمد محمد طبق
جامعة الأزهر ـ كلية اللغة العربية

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ

سورة الأنبياء ﴿١٨﴾

وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ

سورة المؤمنون ﴿٧١﴾

وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾
عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾

سورة الشعراء

هذه الدراسة :

هناك مؤلف صدر حديثا لأحد الباحثين ذهب فيه إلى أن هناك علاقة وثيقة بين آيات خلق الإنسان فى القرآن الكريم ونظرية دارون فى النشوء والارتقاء وفى هذا المجال توصل ـ من وجهة نظره ـ إلى أن فى القرآن ما يدل على :

* أن آدم وحواء قد خلقا ـ شأنهما شأن سائر البشر أجمعين ـ من إنسان يسبقهما فى الوجود.
* أن آدم عليه السلام قد خلق من نطفة شأنه شأن الدواب على سطح الأرض جميعا .
* أن آدم ليس أبا للأناسى والناس والإنسان ، بل هو أب للبشر فقط أو لبعض منهم .
* أن حواء ليست مخلوقة من ضلع آدم ، وإنما خلقت كسائر البشر .
* أن سجود الملائكة لآدم لا يعنى السجود المعروف ، بل هو رمز لرفعة شأنه على الملائكة .
* أن هناك احتمالا لتطور صورة البشر الحاليين إلى صورة أخرى فى الخلق .
* أن آدم ابن لانسان سابق عليه متطور فى الخلق من حيوانات سابقة.
* أن الإنسان على صلة وثيقة بأبناء عمومته القردة .
* أن المعجزة فى خلق آدم ليست فى خلقه من تراب ، ولكن فى خلقه آخر المخلوقات متطورا عنها جميعها .
* أن تكريم بنى آدم كان بانقراض الصور الأخرى لأشباه الناس والإنسان .

إلى غير ذلك من الأمور الخطيرة التى ربطها المؤلف بالقرآن الكريم .

وهذه الدراسة تناقش المؤلف فى هذه الأمور جميعها ، وتتعرض لآيات خلق الانسان فى القرآن الكريم من الوجهة الصحيحة فى فهم نظم تلك الآيات بما يرد جميع النتائج التى ربطها المؤلف بالقرآن الكريم .

بيانات الكتاب موضع الدراسة والرد :

يقع الكتاب فى (٢٥٤) صفحة من القطع المتوسط ، وقد طبع على ورق أبيض مصقول تحت عنوان

خلق الإنسان بين العلم والقرآن

ومؤلفه : د . حسن حامد عطيه

مستشار البحوث بمركز البحوث الزراعية بوزارة الزراعة بجمهورية مصر العربية

والكتاب نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله ـ تونس طبعة أولى ١٩٨٧م ومتداول خارج تونس أيضا .

طبع : المطبعة العربية ـ تونس .

مقدمة :

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء سيدنا محمد الذى أوتى الحكمة وفصل الخطاب صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين

وبعد :

فإن القرآن الكريم دستور الله الخالد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . هذا الكتاب الذى أعجز العرب بسحر بيانه ، وعجيب نظمه ، لا بألفاظه المفردة ، وكلماته المستقلة ، وصدق الله العظيم : **﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾** وقد أخذ العلماء من سلفنا الصالح يبحثون أوجه إعجاز القرآن الكريم ، فذكروا وجوها عدة لسنا بصددها الآن ، ولعل أولاها بالقبول ، وأصدقها فى الإعجاز وأعمها هو الإعجاز بالنظم ، لأن العرب عجزوا عن محاكاة نظمه ، وإن نطقوا بألفاظه ولا تخلو آية من آيات القرآن من نظم بديع ، وتركيب دقيق .[1] .

ولهذا كان على من يتصدى لفهم هذا الكتاب العزيز ويستنبط منه فى أمور التشريع أو العقائد أو يقف عند الإشارات العلمية أو الكونية فيه أن يكون ذا بصر بنظم هذا الكتاب الكريم و ذا فقه فى هذه اللغة التى نزل بها ، لأنها مفتاح فهمه ، وسبيل يسره ، وبدون هذا المدخل الصحيح لفهم القرآن الكريم على قدر الطاقة البشرية سيتعذر الفهم ، ويستعصى الهدف ، فيقول صاحبه فى القرآن على غير الوجه الذى يعطيه نظمه الكريم ،وتدل عليه لغته العربية تماما كالذى يريد أن يفتح بابا بغير مفتاحه الصحيح .

فإذا ما أوتى الانسان حظا وافرا من دراسة العربية ، وتبين أسرار نظمها ، وطرائق التعبير فيها فإنه يستطيع ـ بفضل الله وعونه وتوفيقه ـ أن يستنبط من

---

(١) انظر دلائل الاعجاز ص ٨٩ عبد القاهر الجرجانى ، شرح وتعليق د/ خفاجى.

القرآن الكريم فى أى جانب من الجوانب العديدة التى احتواها ، أو أشار إليها وصدق الله العظيم : ﴿ **إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون** ﴾ .

ولهذا كان الفقهاء وعلماء الكلام والباحثون فى العقائد وغيرها من سلفنا الصالح جميعهم متسلحين بالفهم الصحيح لهذه اللغة ، واقفين على أسرارها ، فقدموا لنا تراثا ضخما نعتز به ونحرص عليه ، تمثل فى هذه الأسفار من التفاسير وغيرها من كتب الفقه والعقائد والأصول التى تقوم على بصيرة واعية، وفهم مستقيم . ومجال الفهم والاجتهاد فى كتاب الله تعالى ما زال مفتوحا لكل مجتهد ، والقرآن الكريم نفسه دعا إلى ذلك فى مواطن عدة منه ، ونحن مأمورون بفهم كتاب الله على قدر طاقتنا ، وهو المنهل العذب للعديد من الدراسات ، ومنها ما فيه من إشارات علمية أو كونية شريطة أن يكون المجتهد فى هذا الفهم لديه المفتاح الصحيح له ـ كما ذكرت ـ وهو فقه هذه اللغة التى نزل بها ، ولا يكفى فى ذلك أن يكون المجتهد أو المستنبط مجرد متكلم بالعربية، أو مجرد قارئ عادى لأساليبها حتى يمكنه الاستنباط والاستدلال على أسس ثابتة فى أى مجال من مجالات القرآن الكريم .

ومع هذا فإننا نجد مؤلف كتاب (خلق الإنسان بين العلم والقرآن) ينتحي فى فهمه للآيات المتعلقة بخلق الإنسان ناحية أخرى لا ترتكز على أساس لغوى سليم ، وهو نفسه يعلن ذلك صراحة عندما ذكر فى كثير من الأحيان أنه يتجه اتجاها آخر غير ما ورد فى المعاجم العربية ، أو غير ما ذكره بعض المفسرين الموثوق بهم فى التفسير ، وذلك خدمة لهدفه وقضيته ، ولذلك طوع لغة القرآن الكريم المتعلقة بقضية الخلق لهذا المفهوم الخاص ، كى تساير بعض النظريات العلمية فى تطور خلق الانسان كنظرية دارون وما شابهها فى هذا المجال ، مع أن هناك خطورة بالغة فى الربط بين القرآن الكريم والنظريات العلمية المتطورة ، فماذا يكون الحال لو ظهر فى المستقبل خطأ بعض النظريات العلمية التى تم ربطها أو الاستشهاد عليها بالقران انكريم كما هو الحال فى نظرية دارون وغيره ؟! فالقران الكريم ـ فى أصله ـ ليس كتابا علميا ، وإن كان هذا لا يمنع من وجود بعض الإشارات العلمية أو الكونية فيه للدلالة على قدرة الله تعالى فى

الخلق والإنشاء .

وقبل أن أبدأ مناقشة المؤلف فيما ذهب إليه واستشهد عليه من آيات القرآن الكريم أشير إلى بعض الأمور المهمة التى تحدد إطار البحث ومساره :

أولا : بالنسبة للاجتهادات الشخصية للمؤلف ، والتى لا تتعارض مع نص صريح للقرآن الكريم ولا مع عطائه اللغوى لا أقف عندها ، ولا أعلق عليها ، فهذا رأيه ، ونحن مأمورون بالاجتهاد فيما لا نص فيه حتى ولو أخطأنا[1] .

ثانيا : بالنسبة لمناقشته لبعض آراء غيره من المعاصرين لا أتعرض لها بالتأييد أو المعارضة إلا إذا كان هناك مالا يتفق مع النصوص القرآنية أو القواعد العامة التى استقر عليها سلف هذه الآمة فى فهم القرآن الكريم على الوجه الذى يتفق مع لغته ونظمه .

ثالثا : بالنسبة لبعض الآيات القرآنية التى يذكرها المؤلف فى ثنايا الكتاب أكثر من مرة ليؤكد استنتاجه السابق عند ذكرها أولا ، فإننى أتعرض لها تفصيلا فى المرة الأولى فقط إذا لم يكن فى تكرارها جديد يضيفه إلا إذا اقتضى الأمر بعض التعليقات المختصرة على الآية أو الآيات المكررة .

رابعا : بالنسبة لتفاصيل نظرية دارون وأنصاره وما توصل إليه أصحاب الحفريات والدراسات المتعلقة بها والتى أوردها المؤلف فى الكتاب لن أتعرض لها، إذ هى ليست المقصودة فى هذا البحث بالذات وإنما المستهدف فى هذه الدراسة هو التفسير الخاص للايات القرآنية التى يرى المؤلف أنها تؤيد هذه النظرية أو تلك الدراسات أو ترتبط بها ، أو أن هذه النظرية وما ارتبط بها يؤيد ما جاء فى القرآن الكريم ، بينما ذلك لا يتفق مع العطاء اللغوى أو النظمى للقرآن الكريم لأن الذى يعنينى فى المقام الأول هو ما ذهب إليه المؤلف من تطويع أساليب القرآن الكريم ـ على غير أساس لغوى سليم ـ لما يذهب إليه أصحاب هذه النظرية ، والنتائج التى توصل إليها المؤلف من الآيات القرآنية التى تعرض لها ، وانتحى فيها ناحية غير سديدة ولا مناسبة لأساليب هذا الكتاب العزيز .

---

(١) وقد يكون الاجتهاد أيضا فى فهم النص فيما فيه نص .

وكانت هذه الدراسة ضرورية لأن الأمر لو ترك هكذا بدون بحث لأخذت نظرية دارون وما دار فى فلكها طابعا آخر ونظرة جديدة متغيرة عن النظرة السابقة لارتباطها بالقرآن الكريم حتى لو كان هذا الارتباط غير صحيح ، وربما يضفى عليها ذلك شيئا من الشرعية والتقدير ، وهى عنهما بمعزل .

وهذا الكتاب الذى نحن بصدده واحد من الكتب التى تروج لهذه النظرية بطريقة جديدة تملثت فى ربطها بما هو حق وصدق عند جميع المسلمين ، وهو كتاب الله العزيز ، حيث يرى صاحب هذا الكتاب تطور خلق الإنسان من حيوانات سابقة عليه كالقردة وغيرها ، وأن آدم عليه السلام خلق من نطفة كغيره من البشر ، وأنه تناسل من إنسان سابق عليه ، وأن هناك فرقا فى المدلول بين هذه الألفاظ التى وردت فى القرآن الكريم : (أناسى وأناس والناس وإنسان وبشر) وأن الأناسى تشمل الناس وأشباه الناس ، والناس أيضا تشمل الإنسان وشبيه الانسان ، وأن آدم تناسل بطريق التتابع من هؤلاء جميعا ، كما يرى أن البشر هم الصورة الأخيرة للإنسان ، ولا يستبعد أن يكون هناك تطور جديد فى الخلق لهؤلاء البشر يرى المؤلف ذلك وغيره من الأمور الخطيرة ، ويذهب إلى أن القرآن الكريم قد اشتمل على ما يؤيد ذلك كله ويدل عليه ، وكأن نظرية دارون كانت التطبيق العملى لما جاء فى القران الكريم متعلقا بخلق الانسان.

وهذا هو ما دعانى إلى هذا البحث .

خامسا : ظاهرة النظم القرآنى فى هذه الدراسة مقصورة على الآيات أو بعض الآيات القرآنية التى يؤيد بها المؤلف رأيه ، ولا تسترسل هذه الدراسة فى بيان النظم الكامل وأسراره فى هذه الآيات أو بعضها حتى لا يتشتت البحث ، ويتشعب الهدف ولا يتضح الغرض الأصلى منه ، اللهم إلا إذا توقف بيان المراد ، واستجلاء الهدف على ذكر النسق الكامل للآية أو الآيات المستشهد بها ، والإشارة إلى بعض أسرار النظم فيها والتى ترتبط بالغرض الأصلى منها [1] .

---

(١) أما الحديث المفصل عن خلق آدم ومراحل هذا الخلق ومادة كل مرحلة وتكامل هذه المراحل وعلاقة كل منها بالسياق وغير ذلك فقد أفردت له بحثا خاصايتكامل مع هذا البحث ولا يكرره بعنوان «متشابه النظم القرآنى فى قصة آدم عليه السلام » ، ولذلك سأحيل الحديث المفصل عن بعض المسائل الواردة فى هذا الرد على هذا البحث التفصيلى ، وسأكتفى هنا بما هو ضرورى للرد على مؤلف الكتاب المذكور ، وبالله التوفيق.

وستكون العناوين الجزئية لهذه الدراسة هى نفس العناوين الجزئية الواردة فى فصول الكتاب والتى تحتاج إلى وقفة فيما ذهب إليه المؤلف من فهم للآيات القرآنية المندرجة تحت هذه العناوين .

والله أسأل أن يوفقنى فيما أنا بسبيله ، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه ، وأن يهدينى سبيل الرشاد ، وأن يرزق المسلمين جميعا البصيرة الواعية فى فهم كتابه ، وأن يجنبهم فى ذلك الزيغ والضلال ، إنه الهادى لأقوم طريق والمرشد إلى الصراط المستقيم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

لماذا هذا الكتاب ؟

أورد المؤلف هذا العنوا فى ص (٧) من الكتاب ، وناقش بعض الآراء للمرحوم الشيخ شلتوت والشيخ الشعراوى تتعلق بالربط بين الدين والعلم ، أو الاختلاف فى فهم بعض الايات ، ثم أورد بعد ذلك فى ص (١٩) الآية القرآنية ﴿ خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ﴾ وفسرها على نحو يتفق مع وجهة نظره فى التطور ، ويخالف ما يقوله المفسرون ، ولما كانت هذه الآية الكريمة وبعض الآيات الأخرى المشابهة لها فى التعبير سيتعرض لها المؤلف بتفصيل أكثر فى ثنايا الكتاب فسأرجئ التعليق عليها إلى الموضع المناسب من الكتاب والبحث حتى نتحدث عنها وعن نظائرها معا .

أنا عبر الحياة

فى نهاية حديثه تحت هذا العنوان وفى ص (٨٨) يقول :

« إننى أقول لمن يدعى أن الله سبحان وتعالى خلق كل نوع من مخلوقاته بمنأى عن النوع الآخر ،، إذا كانت مسيرة الحياة وركبها تقتضى أن ينشأ الثعبان من السمكة أو ينشأ الإنسان من القرد أو من الغراب ، فإن ذلك لا يتعارض مع ما وضعه الخالق البارئ من سنة للحياة ، أقول لهم : ﴿ مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا ﴾ [1] وورود هاتين الآيتين فى هذا السياق يدل على أنه يفسر الأطوار حتى بالنسبة للانسان بتطوره من كائنات أخرى سابقة ، وسأرجئ التعقيب عليها أيضا بعد أن تتضح وجهة نظره فى هذا التطور ، وكيف يربطه ببعض تعبيرات القرآن الكريم فى آيات أخرى .

أناسي وأناس

من العبارات التى ذكرها تحت هذا العنوان قوله : (ص ٨٩ ـ ٩٠)

يقول رجال العلوم : إن الإنسان الحالى هو حلقة أخيرة من سلسلة من الكائنات التى تسبقه ، ومن الطبيعى أن تلك الكائنات كلما كانت أكثر قربا منه

---

(١) سورة نوح ١٣ - ١٤ .

كان أشد شبها به ، وكلما زادت بعدا عنه قل ذلك الشبه ، وتعود تلك الكائنات إلى الوراء إلى من هم ليسوا ناسا ، وكانوا يشتركون مع الناس فى صفات معينة ، ويختلفون عنهم فى صفات أخرى ، فماذا يقول الخالق جل علاه ؟ لقد ورد فى القرآن الكريم ألفاظ « البشر والإنس والإنسى والناس والأناس والأناسى » .

ويتفق أساطين اللغة العربية وتتفق معاجمها على أن تلك الألفاظ جميعها ذات مدلول واحد هو الإنسان من بنى آدم فردا أو جمعا ، ولكن بعد أن تقدمنا فى العلم والمعرفة ألا يمكننا تحت ضوء العلوم الحديثة أن نتعمق النظر فى الآيات التى وردت بها تلك الألفاظ .[1] علينا أن نأتى منها بقبس ، لنستمع إلى قول القرآن الكريم ﴿ **وأنزلنا من السماء ماء طهورا . لنحيى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا . ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا** ﴾ (الفرقان ٤٨ ـ ٥٠) .

مما سبق يتضح أن المؤلف جعل مدخله الأساس الذى سيرتكز عليه فى نتائجه هو التفرقة بين ألفاظ « الأناسى والناس والإنسان والبشر » فتطور دلالة هذه الألفاظ مواكب لتطور خلق الانسان من حيوانات سابقة كالقردة وغيرها[2] .

---

(١) ينقل المؤلف هنا بعض عبارات من كتاب معجزة القرآن للشيخ الشعراوى يؤيد ظاهرها ما يريد أن يصل إليه المؤلف من استنتاج ، ومن هذه العبارات « فالله سبحانه وتعالى لا يستخدم لفظين لأداء نفس المعنى ولكن كل لفظ له معناه .. كل لفظ يعبر بدقة عن المعنى المراد منه » ص(٥٥) « فليس هناك شئ فى القرآن الكريم اسمه توارد ألفاظ ،، ولكن هناك دقة بالغة فى التعبير واختيار اللفظ » ص(٥٧) .

(٢) المقصود بالإنسان فى هذه الدراسة هو آدم بالدرجة الأولى

والغريب أنه يعترف فى عبارته السابقة بأن أساطين اللغة ومعاجمها تتفق على أن تلك الألفاظ ذات مدلول واحد هو الإنسان من بنى آدم فردا أو جمعا .

ومع هذا الاعتراف يرى أن التقدم العلمى يوجب التفرقة بين مدلولات هذه الألفاظ بما يتفق مع نظرية التطور فى الخلق كما يرى العلم الحديث ، ثم يستشهد على شئ من هذه التفرقة بين مدلولات بعض الألفاظ السابقة بقول الحق سبحانه : ﴿ **وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا** ﴾ [1] وفى إطار هذه التفرقة التى يسعى إليها وصولا إلى غرضه يقول : (ص٩٠) « غير أن لنا أن نتساءل : إذا كانت كلمة أنعام (فى الآية ٤٩) تدل على جمع للجمع (جمع نعم) أى جمع لأنواع تشمل الإبل والأبقار والغنم وغيرها أفلا تدل كلمة أناسى هى الأخرى بعد عطفها على أنعام على جمع للجمع لتشمل أنواعها مختلفة ؟ أرى أن الاجابة بالإيجاب ، ويؤيد ذلك قوله سبحانه مستطردا « **فأبى أكثر الناس إلا كفورا** » مما يعنى أن الناس هم بعض من أناسى متعددة ، وأكثر من ذلك وأهم منه أن من الأناسى من هم ليسوا ناسا ، إنهم أشباه للناس يمتون للناس بصلة لاشك أنها اشتراكهم معا فى صفة معينة باشتراكهم معا فى صلة الرحم ، وبعبارة أوضح إن المولى سبحانه الخالق البارئ قد خلق أنواعا غير الناس كما خلق الناس ، وأن هؤلاء وأولئك يجمعهم رباط واحد لأنهم جميعا أناسى، وبالتالى فإن كل أنواع هؤلاء الأناسى من الناس ومن غير الناس قد انحدروا من أصل واحد (كما ينحدر الأشقاء من أب واحد وينحدر الآباء من جد واحد وينحدر الجدود من جد واحد أبعد ، وبذلك يكون الأفراد الذين ينتمون إلى العائلات التى تنحدر من العشائر الذين ينحدرون من القبائل إلى غير ذلك وجميع هؤلاء قد نشأوا من أصل واحد) .

ثم ينتقل المؤلف بعد ذلك خطوة فيقول (٩١)

« لننظر إلى قول علماء الإنسانيات وعلماء الحفائر : إن الانسان الحالى قد نشأ عن أنواع أخرى من الإنسان قد يكون البعض منهم قد عاش مع البعض

---

(١) الفرقان ٤٨ ـ ٤٩ .

الآخر ، كما أن البعض قد انحدر عن البعض بل أكثر من ذلك إن جموع الناس تحتوى على كائنات لا يمكن اعتبارها إنسانا» ويربط الكاتب بين هذا القول وبعض آيات القرآن الكريم على وجه مخترع فى فهم هذه الآيات ، فيقول : (ص ٩١)

« أقول لهؤلاء العلماء وأقول لغير العلماء بل لأهل الأرض جميعا : الله أكبر الله أكبر ، لقد جاء فى الكتاب المجيد ﴿ **ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شئ جدلا** ﴾ (الكهف ٥٤).

ألا يعنى ذلك القول الكريم أن الله سبحانه وتعالى قد خلق من الناس أمثلة عدة [١] ، وأن الإنسان أحد تلك الأمثلة ، وأن من الناس من هو ليس إنسانا؟ ثم يصل فى النهاية إلى نتيجة مستخلصة من الآيتين السابقتين فى سورة الفرقان، ومن هذه الآية فيقول : (٩١)

« من الآيات الثلاث السابقة فى سورتى الفرقان والكهف نرى أن الانسان بعض من الناس ، وهؤلاء بعض من الأناسى ، كما نؤكد كذلك أن الأناسى **تحوى الناس وأشباه الناس ، كما أن الناس تشمل الإنسان وأشباه الإنسان .. تطابق رائع بين ماجاء فى كتاب الله وبين ما يقول العلماء ربما فى السنين القليلة الأخيرة فقط » (هويل ١٩٦٦).**

ثم يفصل المؤلف هذا القول بأن الأناسى هم الناس وأشباه الناس وهؤلاء الاخيرون هم ما يسمون بالقردة العليا ، أما الناس فيحتوون الإنسان وأشباه الانسان، ويعتبر ما عثر عليه من حفائر أطلق عليها القرد الجنوبى الأفريقى أو الانسان القرد أحد هؤلاء الآخرين .

أما الانسان فقد وجد منه أنواع مختلفة منها إنسان جاوا وإنسان بكين والإنسان معتدل القامة ، وآخرهم العاقل ،، الإنسان البشر وهو الإنسان الحالى وفى ص ٩٢ يوضح المؤلف الفرق بين مدلول لفظى أناسى وأناس بأن « كلمة أناسى لها مدلول يختلف عن كلمة أناس ، ولا يصح ترادفهما ، إذ بينما وردت

(١) من العجيب أن يفهم المؤلف (مثل) على أنه أمثلة عدة من الناس ، وسيأتى مزيد بيان لذلك .

كلمة أناسي في القرآن الكريم مرة واحدة فقط في الآية السابقة (رقم ٤٩ من سورة الفرقان) بالمعنى الذى وضحته فإن كلمة أناس قد وردت في أكثر من موقع لتدل على جمع البشر من بنى آدم » ثم يذكر بعض الآيات التي ورد فيها لفظ « أناس » كقوله تعالى :

﴿ وإذ استسقى موسى لقومه ... قد علم كل أناس مشربهم ﴾ (البقرة ٦٠) **﴿ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق .. قد علم كل أناس مشربهم ﴾**(الأعراف ١٥٩ / ١٦٠) .

﴿ وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون .. ﴾ (الأعراف ٨٢) .

﴿ فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ،، إنهم إناس يتطهرون ﴾ (النمل ٥٦) .

وعن أبناء آدم عامة :

﴿ ولقد كرمنا بنى آدم .. يوم ندعو كل أناس بإمامهم ﴾ (الإسراء ٧٠ ـ ٧١) ثم يعقب على تلك الآيات السابقة بقوله : (ص ٩٣)

« ومن تلك الآيات الكريمة يتضح أن(أناس)[1] هي جمع أفراد من الإنس من بنى آدم من البشر .. بينما أناسي هي جمع لأنواع من الناس وأخرى من أشباه الناس البشر في الأولى ، ويقول رجال العلوم الإنسانية إن القردة العليا هي الثانية .

« إن اختلاف مدلول تلك الألفاظ : أناسي وأناس وإنسان لهو في ذاته دليل على تطور الإنسان من أصول سابقة ، إنه يعني أن الله سبحانه قد خلق الأناسي من أصل واحد هو مخلوقات تسبقها ثم انقسمت فرعين أحدهما الناس والثاني أشباه الناس (القردة العليا) ثم امتد فرع الناس عبر الزمان فأخرج منه المولى سبحانه فروعا عدة ـ أمثلة عدة ـ أحدها هو الإنسان ، ولقد امتد فرع الانسان وتفرع ألوف السنين ، وفي النهاية يصورنا منه الخالق المصور ـ يصورنا نحن

---

(١) هكذا في الأصل والصواب أناسا ، أو يكون المقصود هنا حكاية اللفظ من الآيات السابقة

الإنسان البشر .

« وفى اختلاف تلك المخلوقات التى تنحدر منها طورا عن طور يقول لنا المولى جل شأنه : ﴿ **مالكم لا ترجون لله وقارا ، وقد خلقكم أطوارا** ﴾ (نوح ١٣ ـ ١٤) .

حرصت هنا أن أنقل عبارات المؤلف فى هذا الفصل ، وتكاد تكون كلها بالنص ، لأن ما ذكره هنا يمثل الأساس وحجر الزاوية الذى يدور حوله كل ما ذكره بعد ذلك فى الفصول التالية ، ولأعطى القارئ فكرة كاملة عن هذا الأساس الذى انطلق منه المؤلف فى كتابه ، ولذلك إذا استطعنا أن ننقض هذا الأساس من أساسه فإن كل ما بنى عليه سينقض تباعا .

ولنرجع إلى معاجم اللغة التى نزل بها القرآن الكريم والتى أغفلها المؤلف نسائلها عن مدى العلاقة والارتباط بين الألفاظ التى ذكرها ، وبنى على العلاقة بينها كل نتائجه فيما بعد ، وعلى أساس صحيح من هذه العلاقة نستطيع بعد ذلك أن نناقش فهمه للآيات القرآنية التى أوردها هنا ، والتى سيوردها فيما بعد والله الموفق .

خلاصة حول العلاقة بين
أناسي ـ أناس ـ الناس ـ إنسان ـ بشر

أناسي : جمع يصح أن يكون مفرده إنسيا مثل كرسى وكراسى ، ويجوز أن يكون مفرده إنسانا ، ويكون أصل الجمع : أناسين ، لكنهم أبدلوا الياء من النون فقالوا : أناسى كما قالوا فى جمع سرحان سراحى والأصل سراحين ، وفى جمع بستان بساتين على الأصل وعلى هذا تكون أناسى جمعا[1] يقول الزمخشرى ـ وهو واحد من أساطين اللغة وأصحاب المعاجم ـ عن الأناسى : «جمع إنسى أو إنسان و نحوه ظرابى فى ظربان على قلب النون ياء ، والأصل : أناسين وظرابين » [2]

الناس والأناس : نقل لسان العرب من رواية المنذرى عن أبى الهيثم أنه سأله عن الناس ما أصله ؟ فقال : الأناس ، لأن أصله أناس ، فالألف فيه أصلية

---

(١) اظر لسان العرب مادة أنس . (٢) الكشاف ٣ / ٩٥ ـ ٩٦ دار الفكر للطباعة والنشر .

ثم زيدت عليه اللام التى تزاد مع الألف للتعريف .. فلما زادوها على أناس صار الاسم الأناس ثم كثرت فى الكلام فكانت الهمزة واسطة فاستثقلوها فتركوها ، وصار الباقى : الناس بتحريك اللام بالضمة ، فلما تحركت اللام والنون أدغموا اللام في النون فقالوا الناس .

وبهذا يتضح أن الأناس والناس مدلولهما واحد ، ولا فرق بينهما إلا فى أن الأولى أصل للثانية [1] كما أن الناس معرفةوالنكرة منه أناس لا ناس ، لأن همزة الأناس لم تحذف إلا عند التعريف فقط أى عند دخول (ال) على النكرة (أناس) فإذا حذفت (ال) التعريفية رجعت الهمزة مرة ثانية ، ولهذا يقال فى النكرة أناس لا ناس ، ولعل هذا هو السبب فى عدم ورود لفظ (ناس) فى القرآن الكريم ، وإن كان قد ورد فى بعض الاستعمالات العربية الفصيحة على غير الأصل تخفيفا .

وعن مفرد الناس أو الأناس يقول صاحب لسان العرب : (الإنسان : معروف والجمع الناس) وبذلك يكون المفرد لكل منهما (إنسان) كما هو مفرد كلمة (أناسى) فى أحد الاحتمالين كما سبق [2].

بذلك تلتقى هذه الألفاظ الثلاثة (أناسى ــ أناس ــ الناس) فى مدلول واحد هو الإنسان الذى هو مفردها جميعا ، ولا اختلاف بينها من هذه الناحية ، وإنما يتمثل الاختلاف بينها فى الاستعمال على النحو التالى :

١ – من حيث الإفراد والجمع كما فى : أناسى ــ إنسان ــ إنسى .

٢ – من حيث التعريف والتنكير كما فى : الناس ــ أناس .

وسياق اللفظ منها هو الذى يقتضى وروده جمعا أو مفردا ، معرفة أو نكرة ، ولا علاقة لذلك بالمدلول الأصلى للكلمة .

الإنسان والبشر : ورد فى لسان العرب (مادة أنس) « الإنس : البشر » والإنسان مأخوذ من الإنس ، وبذلك يكون مدلول لفظ إنسان ولفظ بشر واحدا

---

(١) بينما يفرق المؤلف بينهما فيجعل أناسا مجموعة من البشر والناس شاملة للناس وأشباه الناس كما يفهم مما سبق .

(٢) والاحتمال الثانى أن يكون مفرد (أناسى) إنسى كما فى لسان العرب .

وبهذا تتفق هذه الألفاظ كلها (أناسي ـ أناس ـ الناس ـ إنسان ـ بشر) في الدلالة ، ولا اختلاف بينها إلا في الجمع والإفراد، والتعريف أو التنكير والذى يقتضى أحدهما دون الآخر سياق الكلام الذى يقع فيه اللفظ .

أما قضية الترادف في اللغة بصفة عامة ، وفي ألفاظ القرآن الكريم بصفة خاصة والتى أشار إلى عدم وجودها في هامش الكتاب ص٨٩ نقلا عن الشيخ الشعراى فهذه قضية قديمة يعرفها علماء اللغة ، وإنكار الترادف التام بين لفظين أو ألفاظ شئ معروف معهود على رأى الكثير من علماء اللغة ، ومنهم ابن الأنبارى الذى يرى أن هناك علة لغوية كامنة وراء تعدد لفظين في معنى واحد ، إذ إن كل لفظ منهما يختلف عن الآخر في المعنى اختلافا ما « وقد يكون الفرق دقيقا لا يتنبه له إلا العارف بلغة العرب » [1] وعلى هذا الدرب سار أبو هلال العسكرى في كتابه الفروق في اللغة وعبد القاهر الجرجانى وغيرهما .

ولكن هذا الأمر يحتاج إلى وضوح وبيان أكثر لارتباطه بما نحن بسبيله ، ذلك أن اللفظين أو الألفاظ التى قيل فيها بالترادف وأنكره آخرون ليس معنى الإنكار أن يدل كل لفظ على عكس ما يدل على الآخر ، أو على معنى بعيد عنه بل الألفاظ المترادفة تتفق في الدلالة على أصل المعنى ، وبعبارة أخرى تتفق على الدلالة الأصلية ، ثم يبقى لكل لفظ دلالة أخرى مصاحبة توحى بها المادة التى تكون منها .

ولنأخذ مثالا مما نحن فيه : رأينا أن ألفاظ ـ أناسي ـ أناس ـ الناس ـ إنسان تلتقى كلها في أصل الاشتقاق ، وهو أن المادة الأصلية (أنس)[2] وبذلك اتفقت جميعها في الدلالة ، ولا يطلق عليها ألفاظ مترادفة ، حيث لا اختلاف في المعنى بينها ، اللهم إلا من حيث الإفراد أو الجمع ، والتعريف أو التنكير والذى يقتضى أحدهما دون الآخر السياق لا المعنى الأصلى للكلمة كما ذكرت.

أما لفظا إنسان وبشر فهما يتفقان في الدلالة الأصلية ، فهما مترادفان ،

---

(١) كتاب الأضداد لابن الأنبارى ص ٧ .

(٢) يرى بعض اللغويين أن الناس مأخوذ من النوس ، فهى في الأصل من ناس ينوس بمعنى تحرك ، لأن الحركة من طبيعة الناس (القاموس المحيط مادة نوس)

ولكن لما اختلفت المادة الأصلية المكونة من حروف كل منهما (أنس ـ بشر) صار لكل منهما دلالة أخرى مصاحبة للدلالة الأصلية ، فإنسان إن كان مأخوذا من الإنس كما نقل اللسان عن الأزهرى تكون الدلالة المصاحبة للدلالة الأصلية هى الأنس ضد الوحشة ، لأن أفراد الإنسان يأتنس بعضهم ببعض ، ويكون الإنس مقابلا للجن ، حيث إن الجن مختف، والاختفاء من مظاهر التوحش ، ولهذا كان التقابل بينهما فى قوله تعالى : ﴿ **خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار** ﴾ (١) وقوله جل شأنه : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم** ﴾ (٢) .

وبهذا يكون إنسان على وزن فعلان والألف فيه فاء الفعل كما جاء فى اللسان ، وإن كان مأخوذا من النسيان ، والأصل فيه إنسيان على وزن إفعلان ، والحروف الأصلية نسى فيدل على ذلك ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : إنما سمى الإنسان إنسانا لأنه عهد إليه فنسى ، قال أبو منصور : إذا كان الإنسان فى الأصل إنسيان فهو إفعلان من الناس ، وقول ابن عباس حجة قوية له (٣) .

يضاف إلى ذلك قول أبى هلال العسكرى : « والإنسان يقتضى مخالفته للبهيمة ، فيذكرون أحدهما فى مضادة الآخر ، ويدل على ذلك أن اشتقاق الإنسان من النسيان ، وأصله إنسيان لهذا يصغر فيقال : أنيسان ، والنسيان لا يكون إلا بعد العلم ، فسمى الانسان إنسانا لأنه ينسى ما علمه ، وسميت البهيمة بهيمة لأنها أبهمت على العلم والفهم لا تعلم ولا تفهم فهى خلاف الإنسان ، والإنسانية خلاف البهيمية فى الحقيقة ، وذلك أن الإنسان يصح أن يعلم إلا أنه ينسى ما علمه ، والبهيمة لا يصح أن تعلم (٤)

ومن هذا القبيل كان قوله تعالى : ﴿ **اقرأ وربك الأكرم الذى علم**

(١) الرحمن ١٤ ـ ١٥ . (٢) الحجر ٢٦ ـ ٢٧ .

(٣) لسان العرب مادة أنس .

(٤) الفروق فى اللغة ص ٢٦٩ منشورات دار الآفاق الجديدة ـ بيروت .

بالقلم علم الانسان مالم يعلم ﴾ [1] وقوله سبحانه : ﴿ **الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان** ﴾ [2] وقوله : ﴿ **ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شئ جدلا** ﴾ [3]

وعلى هذا تكون الدلالة المصاحبة وسابقتها المصاحبة أيضا للدلالة الأصلية للفظ إنسان مرتبطة باشتقاق الكملة من الأنس أو النسيان ، وإن كانت الدلالة الأصلية للفظ إنسان هى الترادف مع لفظ بشر ، والإنسان بهذا الاعتبار هو المفرد الأصلى لكل من : أناسى ـ أناس ـ الناس كما سبق ، ولكن لما كان لفظ بشر مخالفا فى أصل الاشتقاق للفظ إنسان ، أو بعبارة أخرى مخالفا فى المادة الأصلية للفظ إنسان كان له دلالة أخرى مصاحبة للدلالة الأصلية المتفقة مع مدلول لفظ إنسان .

يقول أبو هلال العسكرى فى تعليل التسمية : « إن قولنا بشر يقتضى الظهور، وسموا بشرا لظهور شأنهم ، ومنه قيل لظاهر الجلدة بشرة » [4] .

وعلى هذا تكون الدلالة المصاحبة للدلالة الأصلية للفظ بشر هى الظهور وهى مختلفة عن الدلالة المصاحبة للدلالة الأصلية للفظ إنسان كما هو واضح مما سبق .

وبهذا نستطيع أن نوفق بين رأيى علماء اللغة فى القول بالترادف وعدمه ، فمن قال به لاحظ الاتفاق فى الدلالة الأصلية ، ومن لم يقل به لاحظ الاختلاف فى الدلالة المصاحبة ، ولعل الدلالة المصاحبة للفظ بشر وهى الظهور كانت ملاحظة فى مواقع هذا اللفظ فى القرآن الكريم أو فى أغلبها على الأقل، فقد أتى أحيانا هذا اللفظ مقابلا للفظ « ملك» أو « ملائكة » صراحة أو ضمنا فى قوله جل شأنه : ﴿ **ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم** ﴾ [5] ﴿**فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا** ﴾ [6].

---

(١) العلق ٣ ـ ٥ .
(٢) الرحمن ١ ـ ٤ .
(٣) الكهف ٥٤ .
(٤) الفروق فى اللغة ص ٢٧٠ .
(٥) يوسف ٣١ .
(٦) مريم ١٧ .

﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا ﴾[1] ﴿ ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ إن أنتم إلا تكذبون ﴾[2] ﴿ إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ ﴾[3] .

إلى غير ذلك من الآيات التى سنتعرض لها فى حينها ، لأن مؤلف الكتاب قد أورد الكثير من الآيات التى ورد فيها لفظ بشر ليستنبط منها استنباطا خاصا لا يتفق مع العطاء اللغوى للفظ ، ولهذا آثرت الحديث عنه بشئ من التفصيل .

وحتى يتضح وجه هذه المقابلة أو الاقتران أو الارتباط فى الحديث بين البشر والملائكة نسائل بعض المعاجم العربية عن دلالة لفظ ملك أو ملائكة بعد أن استجلينا دلالة لفظ بشر .

جاء فى لسان العرب مادة ألك

« ويقال : ألك بين القوم إذا ترسل ألكا وألوكا ، والاسم منه الألوك وهى الرسالة » وبعد أن يستشهد على هذا الاستعمال من كلام العرب يقول : «والملك مشتق منه ، وأصله : مألك ، ثم قلبت الهمزة إلى موضع اللام فقيل : « ملأك ، ثم خففت الهمزة بأن ألقيت حركتها على الساكن الذى قبلها فقيل ملك .. والجمع ملائكة » .

من هذا يتضح أن الملك أو الملائكة مأخوذ أصلا من الألوك وهو الرسالة وعلى أساس من ذلك كان الكفار يرون أن يكون صاحب الرسالة أصلا ملكا لا بشرا يعيش بينهم يباشرهم ويباشرونه لأنه محجوب « حسا » عن المرسل بالرسالة وهو الله ، أما الملائكة فهم الرسل ـ على ما تقتضيه دلالة اللفظ ـ وليس بينهم وبين الله حجاب ، لأنهم عند ربك كما يقول القرآن الكريم وهم بهذا الاعتبار مختفون عن البشر ، ومحتجبون عنهم جميعا ولذلك لا يظهرون فى صورتهم إلا فى بعض الحالات النادرة كما حدث مع المصطفى ﷺ فى حديثه مع جبريل عن الإيمان والإسلام والإحسان ...

(١) الفرقان ٢١ . (٢) يس ١٥ .
(٣) الانعام ٩

ومن هذا المنطلق أنكر الكفار رسالة البشر ، أو أن يكو الرسول بشرا من بينهم **﴿ إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ ﴾** [1] **﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ﴾**[2] **﴿ أنؤمن لبشرين مثلنا ﴾** [3] .

وأعتقد أنه بعد هذا البيان الواضح المرتكز على أساس من اللغة التى نزل بها القرآن الكريم والتى لا يمكن فهمه فهما صحيحا قدر الطاقة البشرية بدون فهمها والارتكاز على أساسها ، لا محل لأى قول بعد ذلك يقوم على أساس التفرقة بين (أناسى ـ أناس ـ الناس ـ إنسان ـ بشر) من حيث المدلول الأصلى لهذه الكلمات ، وعلى أساس من تطور هذا المدلول الذى ذهب إليه المؤلف ضاربا بالأساس اللغوى لهذه الألفاظ عرض الحائط حيث رأى أن الأناسى تشمل الانسان وغيره ثم تطورت هذه الدلالة إلى الناس فأصبح لفظ الناس دالا على صورة أخرى متطورة من الأناسى ، وإن كانت تشمل الناس وأشباه الناس ، ثم تطورت الدلالة بعد ذلك فى لفظ الإنسان الذى هو أقرب شبها بالإنسان الحالى ، وإن كانت قبل ذلك شاملة للإنسان وشبيهه ، ثم تحددت الدلالة النهائية لإنسان اليوم فى لفظ بشر بعد أن انقرضت الصورة الأخرى للإنسان والتى كانت ماثلة فى أشباه الناس وأشباه الانسان .

وهذا القول ـ كما هو واضح ـ يجافى اللغة التى نزل بها القرآن الكريم ، ولا يتفق أيضا مع عطاء القرآن الكريم الملابس لاستعمالات هذه الألفاظ ، لأن أى فهم للقرآن الكريم يبتعد عن طبيعة اللغة التى نزل بها فهم مردود ، ولا نصيب له من الصحة والصواب .

وإذا كانت الأناسى هى الصورة المشوهة للإنسان فى نظر المؤلف فكيف يطلق الزمخشرى ـ وهو واحد من أئمة اللغة المعدودين كما ذكرت ـ على الملكين اللذين تسورا المحراب على داود فى نبأ الخصم لفظ الأناسى فى قوله : (.. وكانوا فى صورة الأناسى) [4] ؟

---

(١) سورة الأنعام ٩١ .
(٢) سورة الفرقان ٢٥ .
(٣) سورة المؤمنون ٤٧ .
(٤) الكشاف ٣ / ٣٦٩ .

بقيت بعد ذلك نقطة أخيرة حول ما ذكره من أن ورود الناس بعد الأناسى فى آيات الفرقان السابقة وورود الإنسان بعد ذلك فى آية الكهف السابقة أيضا يدل على أن الناس بعض الأناسى ، أى صورة متطورة منها ، وكذلك الإنسان صورة متطورة من الناس .

والحقيقة أن هذا الفهم يدل على البون الشاسع بين المؤلف وطبيعة اللغة التى نزل بها القرآن الكريم ، لأن لفظ (أناسى) نكرة ، والتنكير فيه للإشارة إلى نوع معين من الناس وهم الذين يسكنون البوادى وتشتد حاجتهم إلى الماء ، وهم كثير ، أما التعريف فى لفظ الناس المذكورين بعد **﴿فأبى أكثر الناس إلا كفورا﴾** فهو للجنس ، ودلالته على الكثرة أكثر من دلالة النكر السابقة فى (أناسى) لأن المقصود به جميع الناس ، ولذلك صحت إضافة أكثر إليه ، أى أكثر هذا الجنس من الناس يأبون إلا الكفر مع وضوح الدلالة على قدرة الخالق ونعمه فى تصريف السحاب بالمطر لإحياء الأرض وسقى أنعامهم وسقيهم .

أما ذكر الإنسان بعد الناس فى الكهف بالإفراد فقد ورد معرفا تعريف الجنس للاستغراق ، واستغراق المفرد أشمل من استغراق المثنى والجمع [1] ، ولذلك كان الإفراد هنا واقعا موقعه للإشارة إلى أن الجدل طبيعة كل إنسان ،غاية الأمر أن هناك جدلا بالحق وجدلا بالباطل وسيأتى مزيد بيان حول هذه الآية الكريمة

ولعل ما ذكرته هنا يكفينى لرد كل النتائج التى توصل إليها المؤلف فى الكتاب على أساس من فهم خاص لبعض آيات القرآن الكريم حاول فيه أن يربط بين ما يقول به الداروينيون فى التطور ، وهذا الفهم الخاص لأساليب القرآن الكريم فى الآيات التى أوردها ، لأنه أسس هذا الفهم وتلك النتائج التى توصل إليها على أساس فهمه السابق للألفاظ التى ذكرتها وذكرها هو آنفا .

ولكنى ـ مع هذا ـ سأتعرض لمعظم الآيات التى ذكرها واستنبط منها نتائجه على أساس غير سليم لغويا وأسلوبيا حتى تكون الصورة واضحة ومحددة فى الرد عليه ، وربما أستغنى بهذا البيان هنا عن التعرض تفصيلا لكل الآيات والنتائج التى ذكرها إذا كانت وثيقة الصلة بهذا البيان اللغوى الصحيح حول ألفاظ

(١) انظر المطول ٨٣ سعد الدين التفتازانى .

(أناسي ـ أناس ـ الناس ـ إنسان ـ بشر)لأن فهمه لهذه الألفاظ من حيث الدلالة يمثل حجر الأساس لكل ما بنى عليه نتائجه فيما بعد ، وقبل أن ننتقل من هذه النقطة إلى غيرها نتعرض لبعض الأمور الأخرى المتصلة بها .

أولا : إذا كان المؤلف يرى أن لفظ (أناسي) يشمل أنواعا مختلفة من الإنسان غير مكتمل الخلقة والصورة ، ومفرد هذا الجمع إنسى كما سبق ، فماذا يقول فى قوله تعالى :﴿ **فإما ترين من البشر أحدا فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا** ﴾ (مريم ٢٦) .

أليس الانسى هو واحدا من البشر بصريح القرآن الكريم ؟ فكيف يقول إن (أناسى) تشمل أنواعا مختلفة من الناس من حيث الصورة والخلقة كما أن لفظ أنعام) المعطوف عليه يشمل الإبل والبقر والغنم ؟ .

إنه تنبه إلى هذه النقطة فى هامش الكتاب فقال : (رب سائل يقول : وهل أوتيت مريم منطق الأناسي [1] من غير البشر ؟ فنقول : ربما ـ غير أن ذلك القول هو قول العليم الخبير يأمر أن تردده مريم) .

وليس الأمر كما يدعى المؤلف ، بل إننا نلاحظ أن الملك يقول لمريم بأمر من ربه : ﴿ **وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا فإما ترين من البشر أحد فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا** ﴾ وعدل القرآن الكريم عن لفظ بشر أو أحد المذكور سابقا إلى لفظ إنسى إما لمناسبة الفواصل ، وإما ـ وهو الأهم ـ للدلالة المصاحبة للفظ إنسى ـ كما سبق ـ وهو الأنس ضد الوحشة ، ومريم أصبحت فى موقف لا تأتنس فيه بأحد من البشر أو الإنسان ، وإنما تأتنس بالملك الذى أمرها بما سبق فى : ﴿ وهزى إليك .. ﴾ بأمر من الله سبحانه فكأنه أمرها ألا تكلم فى هذه اللحظة من لا تأتنس به من البشر ، بل عليها أن تتوجه إلى من يؤنسها حقيقة فى هذه الظروف وهو الملك المرسل من عند ربها ،

---

(١) فى العبارة ما يدل على أن الانسى له صورة مختلفة عن صورة الإنسان البشر ، لأن له منطقا خاصا فى رأى المؤلف ، ومريم أمرت أن تكلمه بمنطقه الخاص هذا .

والذى تمثل لها فى صورة إنسان « لتأتنس بكلامه ولا تنفر منه »[1] .

والمؤلف عندما يرى ما يتناقض مع نتائجه يلجأ إلى القول بخوارق العادات كماهنا [2] ، وكما فى خلق عيسى من الطين كهيئة الطير ، مع أن المؤلف يرى كما سيأتى ، أنه لا يخلق الحى إلا من الحى ، ومع هذا يطبق على آدم أبى البشر منطقه الخاص فى الخلق ، فيقول إن خلقه نشأ بطريق التطور من إنسان سابق لأنه لا يتناسل الحى إلا من الحى كما سيأتى تفصيلا فى كلامه ، فهو لا يقر بالمعجزة فى خلق آدم ، لأنه إذا أقر بها يكون منشأ البشر آدم فلا تطور سابقا للخلق قبل ذلك كما تقول نظرية دارون ، وعندما يجد ما يناقض هذا المنطق يقول إنه من قبيل خرق العادة ، وكان عليه أن يعترف بذلك أيضا فى خلق آدم، ويبتعد عن التأويلات المتكلفة والغريبة للآيات التى تحدثت عن هذا الخلق ، كما سيأتى كل ذلك تفصيلا .

ثانيا :لقد رددنا من حيث اللغة فهم الكاتب للفظ (أناسى) ولفظ (الناس) ولفظ (إنسان) التى أوردها فى الآيات القرآنية السابقة واستنتج منها ما استنتج ، وهى : ﴿ **وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا** ﴾ ﴿ **ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا** ﴾ (الفرقان ٤٨ ـ ٥٠) ﴿ **ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شئ جدلا** ﴾ (الكهف ٥٤) ، أما فيما يتعلق بالأنعام والأناسى فى الآية السابقة فإن المقصود نوع معين من الأنعام والأناسى وهو ما يعيش فى البادية ، وهذا يفهم من دلالة التنكير فيهما ، ولأن كليهما حاجته إلى المطر أشد ، وقدمت الأنعام على الأناسى ، لأنها قنية الإنسان ، وعامة منافع الأناسى ومعايشهم منوطة بها ، ولذلك قدم أيضا إحياء الأرض بالمطر على سقى الأنعام والأناسى ، لأن حياتهما منوطة بحياة الأرض التى يعيشون فوقها [3]، وبهذا تتضح المناسبة بين المعطوف والمعطوف عليه فى الآية الكريمة ولا يقتضى عطف الأناسى على

(١) الكشاف ٢ / ٥٠٥ .

(٢) مع أن مريم كانت ستكلم الإنسى بمنطقها العادى ، لأنه واحد من البشر .

(٣) انظر تفسير أبى السعود مجلد ٣ ـ ٤ ص ٢٢٤ دار إحياء التراث العربى ـ بيروت .

الأنعام اختلاف أنواع الأناسى كما اختلفت أنواع الأنعام ، ويكفى العطف أن تكون هناك مناسبة ما بين المعطوف والمعطوف عليه، كما أشرنا منذ قليل .

وإليك ما قاله الزمخشرى رحمه الله حول هذه الآية :

(فإن قلت : لم خص الأنعام من بين ما خلق من الحيوان بالشراب ؟ قلت : لأن الطير والوحش تبعد فى طلب الماء فلا يعوزها الشراب بخلاف الأنعام ، ولأنها قنية الأناسى ، وعامة منافعهم متعلقة بها ، فكان الإنعام عليهم بسقى أنعامهم كالإنعام بسقيهم ، فإن قلت : فما معنى تنكير الأنعام والأناسى ووصفها بالكثرة ؟ قلت : معنى ذلك أن علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من الأودية والأنهار ومنابع الماء فيهم غنية عن سقى السماء ، وأعقابهم ـ وهم كثير منهم ـ لا يعيشهم إلا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه ، وكذلك قوله ﴿لنحيى به بلدة ميتا﴾ يريد بعض هؤلاء المبتعدين من مظان الماء ، فإن قلت : لم قدم إحياء الأرض وسقى الأنعام على سقى الأناسى ؟ قلت : لأن حياة الأناسى بحياة أرضهم وحياة أنعامهم ، فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم، ولأنهم إذا ظفروا بما يكون سقيا أرضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم» ثم يقول: « روى أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره فى كل عام، لأنه لا يختلف ، ولكن تختلف فيه البلاد ، وينتزع من ها هنا جواب فى تنكير البلدة والأنعام والأناسى ، كأنه قال لنحيى به بعض البلاد الميتة ، ونسقيه بعض الأنعام والأناسى ، وذلك البعض كثير » [1]

وربما ـ بالاضافة إلى ما سبق ـ لوحظ فى هذا العطف التقابل بين المعطوف والمعطوف عليه ، فقد سبق أن ذكرنا أن أناسى جمع ومفردها يجوز أن يكون إنسانا ، وإنسان إن كان مأخوذا من النسيان كما سبق ، يكون ملاحظا فيه صلاحيته للعلم ، لأنه لا ينسى إلا من كان صالحا للعلم ، فيكون ضد البهيمة التى لا تعلم لعدم صلاحيتها لذلك كما هو المفهوم من كلام أبى هلال العسكرى السابق ، وبهذا الاعتبار تكون الأناسى مقابلة للأنعام أيضا ، وتكون

---

(١) الكشاف ٣ / ٩٥ ـ ٩٦ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

هذه مناسبة أخرى للعطف قائمة على أساس سليم من اللغة .

وأما ذكر الناس بعد ذلك فليس مرادا به الأناسى ، بل هو مرتبط بمرجعى الضمير فى (صرفناه بينهم) أى ولقد صرفنا هذا القول [1] وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر فى مواضع عدة من القرآن والكتب السماوية ليتذكروا قدرة الخالق وفضله ونعمته عليهم ، فطلب التذكر ليس خاصا بالأناسى السابقين فى الآية [2] وإنما هو عام لجميع الناس ممن [3] سلف وخلف ولكن أبى أكثر هؤلاء الناس إلا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث بها ، فلا علاقة لذكر (الناس) بعد (أناسى) بما يقول به المؤلف ، وهو بعيد عن نظم القرآن الكريم كل البعد ، وإنما آثر القرآن الكريم لفظ (أناسى) دون (أناسا) فى الآية الكريمة مع أن مفرد كل منهما (إنسان) كما سبق انطلاقا من قاعدة (زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى غالبا) وهذا يتناسب مع العطف على أنعام ، لأن مفردها نعم وهى الإبل والشاء أو الإبل خاصة [4] وهو يدل على الجمع أيضا ، كما أن الأناسى وصفت بالكثرة فى الآية الكريمة.

وكذلك الحال فى الآية الأخرى ﴿ **ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شئ جدلا** ﴾ فليس ذكر الإنسان بعد الناس دليلا على تطور فى الخلق من مرحلة الناس إلى الإنسان . ، ليشمل لفظ الناس : الإنسان وشبيه الإنسان كما يرى المؤلف .

وإنما الآية الكريمة فى واد والمؤلف فى واد آخر ، إذ يقول الحق تبارك وتعالى إنه صرف فى هذا القرآن أى كرر وأورد على وجوه عدة من النظم للناس من كل مثل كمثل الرجلين المذكورين فى الآيات السابقة ، ومثل الحياة الدنيا ، أو صرف فى القرآن الكريم من المعانى البديعة الداعية إلى الإيمان والتى هى فى الحسن والغرابة واستجلاب النفوس كالمثل ليتلقوه بالقبول ، ولكنهم لم

---

(١) فالضمير فى « صرفناه يرجع إلى القول المفهوم مما سبق أو يرجع إلى المطر ، انظر المرجع السابق فى الموضع نفسه » .

(٢) وهم أهل البوادى .

(٣) يقول الزمخشرى : « ولقد صرفنا هذا القول بين الناس فى القرآن ،، » الكشاف ٣ / ٩٦ .

(٤) انظر القاموس المحيط مادة (نعم) .

يفعلوا، لأن طبيعة الإنسان وجبلته الجدل ، والمراد به هنا شدة الخصومة بالباطل والمماراة [1] والإنسان فى الآية الكريمة يقصد به الكافر ، وهو بعض من الناس ، فالله سبحانه ذكر فى هذا القرآن أمثلة عدة ليتعظ الناس ويؤمنوا ، ولكن بعضهم جادل وخاصم بالباطل وهو الكافر ، و إليك ما ذكره لسان العرب حول هذه الآية الكريمة : « وقوله عز وجل : ﴿ **وكان الإنسان أكثر شئ جدلا** ﴾ عنى بالإنسان هنا الكافر ، ويدل على ذلك قوله عز وجـــل : ﴿ **ويجادل الذين كفــروا بالباطل ليدحضوا به الحق** ﴾ هذا قول الزجاج ، فإن قيل : وهل يجادل غير الإنسان ؟ قيل : قد جادل إبليس وكل من يعقل كالملائكة ، والجن تجادل ، لكن الإنسان أكثر جدلا ، والجمع الناس » [2] وبهذا اتضح سر التعبير باسم التفضيل فى الاية (أكثر شئ جدلا) والعلاقة بين الناس والإنسان على الوجه الصحيح .

وأما ما ذكره عن لفظ أناس وأنه يدل على مجموعة من البشر ، وذكر بعض مواقعه فى القرآن الكريم فهذا كله صحيح ، ولكن غير الصحيح فيه أن يجعل مدلوله متطورا فى الخلق عن مدلول لفظ أناسى كما هو واضح مما سبق .

وأما قوله : « وفى اختلاف تلك المخلوقات التى تنحدر منها طورا عن طور يقول لنا المولى جل جلاله » ﴿ **مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا** ﴾ (نوح ١٣ ــ ١٤) فهو يقصد أطوار الخلق التى أشار إليها سابقا فى تطور مدلول أناسى ــ أناس ــ الناس .:. الخ وهذا ليس صحيحا ، لأنه لادليل صحيحا يعتمد عليه من الكتاب والسنة فى ذلك ، وإنما الدليل الصحيح على هذه الأطوار نفهمه من القرآن الكريم ، فقد نص عليها فى قوله جل شأنه :

﴿**ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ..** ﴾ (الآيات ١٢ ــ ١٤ من سورة المؤمنون) وكذلك

---

(١) انظر تفسير أبى السعود ٥ ، ٦جـ٥ص ٢٢٩ ولا يعقل ان يكون مثل مقصودا به أمثلة عدة من الناس ، كما يرى المؤلف . (٢)لسان العرب مادة أنس ، والأولى أن يبقى لفظ « الإنسان » على عمومه فى الآية ، ولا يخص بالكافر كما ذكره اللسان انظر الكشاف ٢/ ٤٨٩ وتفسير أبى السعود ٥/ ٢٢٩ .

وردت هذه المراحل أو بعضها فى آيات أخرى مشابهة وسيأتى مزيد بيان حول هذه الآية ، وكذلك حول الآية الكريمة ﴿ **وبدأ خلق الانسان من طين** ﴾ (السجدة ٧) لأن المؤلف كررهما فى مواطن عدة من الكتاب .

آدم أبو البشر ، ولكن هل هو أبو الإنسان والناس ؟؟

وهذا العنوان (ص٩٤) مبنى على فهم خاص للمؤلف يتعلق بتطور مدلول الناس والإنسان والبشر كما سبق ، فهو يرى أن البشر هم الصورة الأخيرة المكتملة الخلق ، والمتطورة من الأناسى والناس والإنسان : فآدم أبو البشر وحدهم، اقرأ قوله : « وقضيتنا الآن إذا كان آدم أبا للبشر ، فهل هو أب للإنسان والناس؟ يقول المفسرون جميعا نعم .

ولكنى أرى أن نبحث هذه القضية بحثا متأنيا ، فبعد أن وضحنا أن الإنسان جزء من الناس ، فعلينا أن نبحث موضع البشر من الإنسان ، فإذا ثبت لنا أن البشر بعض من الإنسان ، فهم بذلك بعض من الناس .

ثم يستدل على أبوة آدم للبشر فقط دون الأصناف الأخرى بأن القرآن الكريم عبر عن آدم بالبشر ، فقد ذكره فى بعض الآيات بالبشر كما فى قوله جل شأنه : ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين** ﴾ (الحجر ٢٨ ـ٣١) وهذا البشر هو آدم بدليل تعبير القرآن عنه فى آيات أخرى بلفظ آدم كما فى قوله جل شأنه : ﴿ **ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين** ﴾(الأعراف ١١) ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى** ﴾ (طه ١١٦) ثم يذكر آيات أخرى ورد فيها لفظ آدم ليستدل على أنه المقصود بلفظ بشر فى آية الحجر [٢]

---

(١) لسان العرب مادة أنس ، والأولى أن يبقى لفظ « الانسان » على عموم فى الآية ، ولا يخص بالكافر كما نقله صاحب اللسان ، انظر الكشاف ٢ / ٤٨٩ وتفسير أبى السعود جـ٥ / ٢٢٩ .

(٢) انظر هذه الآيات فى ص ٩٤ من الكتاب .

ثم يستنتج من ذلك أنه ما دام ادم بشرا ونحن بشر ، فالبشر وحدهم هم من ذرية آدم ، لا الأناس ولا الناس ولا الإنسان ، لأن البشر هم الصورة الآخيرة التى انتهت عندها مرحلة التطور من الأناسى والناس والإنسان .

وهذا استنتاج على حساب الفهم الصحيح للغة التى نزل بها القرآن الكريم كما هو واضح مما سبق ، فآدم أب للأناسى والناس والبشر ، وقد وضحنا العلاقة بين هذه لألفاظ لغويا ، أما اختلاف الألفاظ فى التعبير فى بعض المواضع بالأناسى وفى بعضها الآخر بالناس أو الأناس أو الإنسان أو البشر فذلك ما يقتضيه النظم والسياق ، وهو الذى أعجز العرب فى دقة نظمه ، وائتلاف كلماته ، وهذا شئ يعرفه جيدا المتمرسون باللغة ، والعاكفون على دراسة الأساليب فى القرآن الكريم على وجهها الصحيح ، وقد أشرنا إلى شئ من ذلك .

والقرآن الكريم يعبر أحيانا عن آدم بالإنسان كما فى قوله جل شأنه : ﴿ **وبدأ خلق الإنسان من طين** ﴾ (السجدة ٧) كما يعبر عنه فى بعض المواقع بالبشر ، وقد ذكرنا فيما يتعلق بمواقع لفظ البشر فى القرآن الكريم أنه يأتى غالبا فى سياق الحديث عن الملائكة ، وقد بينا السر فى ذلك ، وذكرنا عدة شواهد تؤيد ما نقول .

والكاتب يستدل على تطور البشر فى الخلق من الإنسان بأن القران الكريم يذكر فى السورة الواحدة لفظ الإنسان والبشر ، وقد أورد عدة آيات فى هذا الشأن ، واستنتاجه هذا ـ كما قلت ـ مرفوض ، لأن اختلاف نمط التعبير بالإنسان والبشر يرجع إلى النظم كما ذكرت ، وحتى لو سلمنا جدلا بما يقول، فكان ينبغى أن يذكر فى السورة الواحدة لفظ الإنسان أولا ثم لفظ البشر، حتى يتحقق التطور المتوهم الذى يقول به فى أساليب القران الكريم [1]

وبعد أن عرفنا الأساس اللغوى الصحيح لمثل هذه التعبيرات لا بأس من أن نورد الآيات نفسها التى ذكرها المؤلف هنا بعد أن عرفنا الأساس الصحيح لاختلاف نمط التعبير ، وليرى القارئ كيف يتصرف مؤلف الكتاب ، وكيف

(١) مع أن ذلك غير ملتزم ـ كما سيأتى ـ الأمر الذى يدل على أن النظم هو الأساس فى ذلك .

ينهج في فهمه لأساليب القرآن الكريم كما سيرى القارئ أيضا أن كل آية ورد فيها لفظ بشر كانت متعلقة بالملائكة صراحة أو ضمنا كما ذكرت .

في ص ٩٦ ـ ٩٧ أورد الآيات التالية [١]

﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ (الأنعام ٩١) (فهم يرون أن المناسب للرسالة هو الملك لا البشر)

﴿وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن﴾ (الأنعام ١١٢)

﴿ ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض ﴾ (الأنعام ١٢٨)

﴿ يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم ﴾ (الانعام ١٣٠) .

ـ في سورة هود :

﴿ ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور﴾(٩) . ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا ﴾ (٢٧) ، (أى ينبغى أن تكون مخالفا لنا فتكون ملكا) .

ـ في سورة يوسف :

﴿ قال يا بنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للانسان عدو مبين ﴾ (٥) .﴿ وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم ﴾ (٣١) .

في سورة ابراهيم :

﴿ قالت لهم رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا ﴾ (١٠) (أى لستم ملائكة فلستم رسلا) .

---

(١) مع الأخذ في الاعتبار أن التعقيب على لفظ بشر في بعض الآيات مذكور لتوضيح المقصود وليس من كلام مؤلف الكتاب المردود عليه .

﴿ قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ﴾ (١١) (أى لسنا ملائكة) .﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار ﴾ (٣٤) .

ـ في سورة النحل :

﴿ خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾ (٤) . ﴿ ولقد نعلم إنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى ﴾ (١٠٣) ﴿ أى يعلمه بشر لا ملك ، وهذا ادعاء من الكفار ﴾ (٣٤) .

في سورة الاسراء :

﴿ ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا ﴾ (١١) . ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ﴾ (١٣) . ﴿ إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ﴾ (٥٣) ﴿ فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا ﴾ (٥٧) .﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ﴾ (٨٣) . ﴿ قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا ﴾ (٩٣) (أى لا ملكا حتى يتصور منى الرقى فى السماء ونحوه مما ذكر فى الآيات السابقة)[1] .

﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا ﴾ (٩٤) . (الاستفهام هنا لإنكار أن يكون البشر رسولا ، بل يكون الملك رسولا) .

﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا لأمسكتم خشية الانفاق وكان الإنسان قتورا ﴾ (١٠٠) .

ـ في سورة الكهف :

﴿ ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان

---

(١) انظر تفسير أبى السعود . مجلد ٥ ـ ٦ جـ ٥ص ١٩٥ .

الإنسان أكثر شئ جدلا ﴾ (٥٤) .﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد ﴾ (١٠٠) (أى : إنما أنا بشر لا ملك) .

ـ في سورة مريم :

﴿ قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ﴾ (٢٠) .

(قالت ذلك لأن الله أرسل إليها الملك فتمثل لها بشرا سويا) ﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ﴾ ولم يقل القرآن الكريم فتمثل لها إنسانا سويا ، لما هو معلوم عن العلاقة بين البشر والملك[1] .﴿ ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا أو لا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ﴾ (٥٦ ـ ٥٧) .

ـ في سورة الأنبياء :

﴿ هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون ﴾ (٣) (أى هو بشر لا ملك فلا يكون رسولا) .

﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ﴾ (٣٤) .

السياق السابق للآية الأخيرة كان حديثا عن الملائكة فى قوله جل شأنه ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ، ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين ..الآيات (الأنبياء ٢٦ ـ ٣٤) . كما أن التعبير بالبشر فى الآية الكريمة ، ونفى الخلود عن أى بشر يوحى بأن بعض الملائكة مستثنون من صعق النفحة الأولى ، كما يفهم من قوله جل شأنه : ﴿ ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظـرون ﴾ (الزمـر ٦٧) قيل إن المستثنين هم جبـريل وميكائيل وإسرافيل

---

(١) ولمناسبة لفظ (تمثل) الذى يقتضى الظهور والوضوح الملائم للفظ (بشرا) فى الآية الكريمة .

فانهم لا يموتون بعد ، وقيل حملة العرش .[1] ﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾ (٣٧) .

ـ سورة المؤمنون :

﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ (١٢) .

﴿ ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ﴾ (٢٤) (أى لا فضل للبشر عليهم ، لأنه مماثل لهم ، وإنما التفضيل لمن لا يكون مماثلا لهم وهم الملائكة بدليل قوله بعد ذلك : ﴿ ولو شاء الله لأنزل ملائكة ﴾ ﴿ ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ﴾ (٣٣) (والملك لا يأكل ولا يشرب ﴾ .﴿ ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون ﴾ (٣٤) .﴿ فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ﴾ (٤٧) .

ـ في سورة يس:

﴿ قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا ﴾ (١٥) .﴿ أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾ (٧٧) .

ـ في سورة فصلت :

﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد ﴾ (٦) ﴿ لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيئوس قنوط﴾ (٤٩) .﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ﴾ (٥١) .

ـ سورة الشورى :

﴿ وإذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور ﴾ (٤٨) .

﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا ﴾ (٥١) (الوحى عن طريق الملك) .

---

(١) انظر تفسير أبى السعود ص ٢٦٣ مجلد ٧ ـ ٨ ـ ٩ جـ٧.

وأظن أننا لسنا بحاجة إلى التعليق على هذه الايات بعد ما سبق أن أوضحته.

والمؤلف يؤكد استنتاجه الذى أشرت إليه سابقا فى أن البشر متطور عن الإنسان بقوله : (ص٩٩) كما يوجد دليل آخر يوحى بأن كلمة بشر ليست مرادفة لكلمة إنسان .. لقد أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل والأنبياء إلى بنى آدلم لهدايتهم .. فهل أطلق سبحانه على أى من هؤلاء الرسل والأنبياء من آدم عليه السلام إلى خاتم المرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليه لفظ إنسان ؟؟ لنستمع معا إلى قوله سحانه عن نوح عليه السلام : ﴿ **ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إنى لكم نذير مبين أن لا تعبدو إلا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم ، فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا** ﴾ (هود ٢٥ ـ ٢٧) .

﴿**ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم إعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم** ﴾ (المؤمنون ٢٣ ـ ٢٤) .

وعن هود عليه السلام : ﴿ **ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين .. وقال الملأ الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم** ﴾ (المؤمنون ٣١ ـ ٣٤) .

وعن صالح عليه السلام : ﴿ **كذبت ثمود المرسلين ... قالوا إنما أنت من المسحرين ، ما أنت إلا بشر مثلنا** ﴾ (الشعراء ١٥٣ ـ ١٥٤)

ومن شعيب : ﴿ **كذب أصحاب الأيكة المرسلين... قالوا إنما أنت من المسحرين . وما أنت إلا بشر مثلنا** ﴾ (الشعراء ١٨٥ ـ ١٨٦) .

عن موسى وهارون : ﴿ **ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون .. فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا** ﴾ (المؤمنون ٤٥ ـ ٤٧) .

عن يوسف ﴿ **وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم**﴾ (يوسف ٣١) .

عن محمد صوات الله وسلامة عليه : ﴿ **وما قدروا الله حق قدره إذ**

قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ﴾ (الأنعام ٩١) .

﴿ **ولن نؤمن لرقيك .. قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا، وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا** ﴾ (الاسراء ٩٣ ـ ٩٤) .

﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد** ﴾ (الكهف ١١٠ ، فصلت ٦) .

﴿ **هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر ..** ﴾ (الأنبياء ٣) .

﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ...** ﴾ (الأنبياء ٣٤) .

ـ عن رسل آخرين : ﴿ **واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون .. قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا** ﴾ (يس ١٣ ـ ١٥) .

وعن الرسل عامة الذين أرسلوا بعد آدم : ﴿ **وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعا .. قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين ، قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم** ﴾ (ابراهيم ٨ ـ ١١) .. ﴿ **ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا ..** ﴾ (التغابن ٦) .

من الواضح أن هذه الآيات كلها التى أوردها المؤلف تدل على صدق ما ذكرته قبل ذلك وهو الحديث عن البشر مرتبطا بالملائكة ، كما أن الذى أطلق لفظ البشر على الرسل فى معظم الايات هم الكفار والله سبحانه حكى عنهم ذلك ، لأن الكفار ـ كما ذكرت ـ يعتقدون أن الرسول لا يكون بشرا وإنما يكون ملكا .

وحتى عندما يطلق الرسول على نفسه لفظ بشر كما فى قوله سبحانه : ﴿ **قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا** ﴾ فأسلوب القصر هنا يقصره على البشرية فلا يتعداها إلى الملائكية ، لأنهم فى الأيات السابقة طلبوا منه أشياء ليست فى مقدور البشر ، وإنما هى فى مقدور الملك بأمر ربه ، وقد ذكرنا ـ آنفا ما يتعلق بقول سبحانه : ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد** ﴾ هذا

فضلا عما فى إيحاء لفظ « بشر » بالوضوح والظهور الذى يكون حجة للرسول على قومه ، ذلك أن أمره ظاهر بينهم ، وهو معروف لديهم بأمانته وصدقه قبل الرسالة ، فلماذا يكذبونه بعدها ؟ ولعل مما يعضد ذلك قوله سبحانه : ﴿ **بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب** ﴾ [1] وقوله جل شأنه ﴿ **هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم** ﴾ [2] إلا أن الكفار عكسوا القضية فى هذا المقام لعنادهم وجحودهم . وبهذا يرد تعقيب المؤلف على الآيات السابقة بقوله : (ص ١٠٢ ـ ١٠٣) .

(من كل تلك الآيات نرى أن الله سبحانه لم يستعمل لفظ « إنسان » على نبى أو رسول من رسله صلوات الله عليهم إلى أبناء آدم بل كان يصفهم بأنهم بشر مما يزيدنا تساؤلا عن مدى مطابقة الانسان للبشر .

ثم يقول أيضا : « وبعد إذا لم يكن لفظ بشر مرادفا لكملة إنسان ، فهل البشر يشمل الانسان أم يشمل الإنسان البشر ؟ هل البشر جزء من الانسان .. ؟ أم الإنسان جزء من البشر ؟؟ .. إن الآيات السابقة التى ذكرت عن الإنسان والبشر توحى بأن البشر جزء من الإنسان ، ويعنى ذلك أن كل بشر هو إنسان ولكنه ليس من الضرورى أن يكون كل إنسان بشرا .

وبعد ، إذا كان هذا الاستنتاج صحيحا فلا بد أن يكون خلق الانسان سابقا لخلق البشر ، لأن الانسان يشمل البشر .

« فهل بكتاب الله الكريم ما يوحى بأنه سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان قبل البشر ؟ يقول جل شأنه : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم . وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين** ﴾ (الحجر ٢٦ ـ ٢٩) ـ ثم يعقب المؤلف على ذلك بقوله ص ١٠٣ .

(يقول سبحانه إنه قد خلق الانسان وأتم خلقه كما أنه قد خلق الجان قبل

---

(١) سورة ق ٢ . (٢) الجمعة ٢ .

أن يخلق الإنسان ، ثم جاء قوله للملائكة إنه خالق بشرا من نفس مادة الإنسان من صلصال من حمأ مسنون ، أى أنه يخلق الآن أو سيخلق فى المستقبل ذلك البشر ، وهو لم يسوه بعد وعند إتمام سوائه فعلى الملائكة أن تسجد لهذا الوافد الجديد .. يقول الله إنه قد خلق الانسان فعلا وأنه لم يتم خلق البشر بعد .. ألا يدل ذلك على أن البشر قد خلق بعد الإنسان ، وأن أحدهما لا يطلق على الأخر تماما ؟) .

نحن نجيبه عن هذا التساؤل بقولنا : نعم لا يدل ذلك على ما ذكرت ، لأنك لم تفطن إلى النظم القرآنى تماما ، فالحديث عن الانسان والبشر هو حديث عن آدم وإنما ذكر آدم أولا بلفظ الانسان لأنه فى مقابلة الجان كما سبق أن أوضحناه فى موضعه ، ثم ذكر آدم بعد ذلك بلفظ البشر لارتباطه بالقول للملائكة ، ويدل على ذلك أيضا ـ وهو أن المتحدث عنه آدم فى كلتا الحالتين ـ أن المادة التى خلق منها الانسان واقترنت بخلقه وهى « من صلصال من حمأ مسنون » هى نفس المادة التى اقترنت بخلق البشر أيضا « خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون وطبعا خلق آدم ـ كما لا يخفى لا يختلف عن خلق غيره نوع اختلاف ، فلو كان المقصود بالإنسان غيرالبشر لاختلفت مرحلة المادة المخلوق منها كل منهما .

بل إن المادة الصلصالية الناشئة من الحمأ المسنون قد اختص بها خلق آدم وحده أصالة ، فلم ينص عليها فى خلق ذريته فى القرآن الكريم ، بخلاف المادة الترابية أو الطينية فقد وردت فى خلق آدم أصالة فى بعض الآيات ، كما وردت فى خلق ذريته أيضا لاقتضاء المقام ذلك كما فى قوله سبحانه : ﴿ **يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة** ﴾ (الآية ٥ من سورة الحج) وقوله جل شأنه : ﴿ **هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا ..** ﴾ (آية ٢ من سورة الأنعام) فكيف يكون الإنسان المذكور فى الحجر غير آدم مع أن مادة الخلق المذكورة فيها خاصة به ؟!

وبهذا يبطل استنتاجه هنا وكل ما ترتب عليه ، ولا حاجة لذكره لأنه معلوم مما سبق .

وفى ص١٠٥ يكرر الآيات التى سبق أن ذكرها واستنتج منها ما استنتج ورددناه وهي قوله تعالى : ﴿ **ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا ، ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا** ﴾ (الفرقان٤٩ ـ ٥٠) .﴿ **ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شئ جدلا**﴾ (الكهف ٥٤) والجديد هنا أنه يضيف آية أخرى من سورة الاسراء وهي : ﴿ **ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا** ﴾ (الاسراء ٨٩) وهذه الإضافة يريد أن يصل منها إلى ان عدم التكرار فى الآيتين الأوليين يوحى بتغيير مدلول اللفظ على النحو المذكور سابقا ، وأما إعادته بنفسه فى سورة الإسراء فتوحى بأن المدلول الأول هو عين الثانى ، وقد سبق أن ذكرنا أن هذا كله يتعلق بنظم الكلام ، ولا علاقة له بالمدلول اللغوى ، وهذا شئ يعرفه أهل البلاغة .

على أن اية الإسراء حجة عليه لا له ، لأنه ليس من المعقول أن يصرف الله سبحانه فى هذا القرآن من كل مثل لمن هم دون الصورة المثلى للمخاطبين ، وهم الناس ، لأنهم ـ بناء على فهمه ـ ليسوا أهلا للتكليف ، فكيف يصرف الله لهم من كل مثل ؟ إلا إذا كان يريد بالمثل أمثلة عدة من الناس كما ذهب إليه دون أن يفكر فى علاقة ذلك بتذييل الآية الكريمة بقوله سبحانه : ﴿ **فأبى أكثر الناس إلا كفورا** ﴾ وكذلك التذييل فى آية الكهف : ﴿ **وكان الإنسان أكثر شئ جدلا** ﴾ لأن الانسان فى رأيه أيضا دون البشر الذى هو الصورة المثلى لبنى آدم ،على أن الإظهار فى مقام الاضمار فى آية الإسراء للتأكيد والتوضيح كما ذكر أبو السعود [1] ولذلك اقتضى المقام إعادة اللفظ السابق بعينه للدلالة على كفر أكثر هؤلاء الناس الذين صرّف الله لهم فى القرآن من كل مثل .

وفى ص ١٠٦ يقول: « لا أكتمك أيها القارئ أن صوت أساطين اللغة لا يزال يرن فى أذنى نريد دليلا لغويا على أن البشر يختلف عن الإنسان فأقول : بل إن لفظ بشر هو بذاته دليل على اختلافه عن لفظ إنسان ، إذ لفظ بشر كما جاء فى معجم « تاج العروس من جواهر القاموس » مشتق من البشرة ، وهى

(١) تفسير أبى السعود ٥ / ١٩٤ .

أعلى جلدة الرأس والوجه والجسد ، وسمي الإنسان بشرا لتجرد بشرته من الشعر والصوف الوبر ــ أما لفظ إنسان فقد اشتق من الفعل أَنِس وأُنس وآنس .. . والإيناس خلاف الايحاش وذلك لأن الانسان يعيش معيشة اجتماعية فيها يأنس الأفراد بعضهم لبعض .

« لاشك أننا نلاحظ أن ألفاظ : (أناسي وإنسان وأناس وإنس وإنسي) كلها مشتقة من بعضها البعض ــ أما لفظ بشر فهو بعيد كل البعد عنها ، ولما كان ذلك اللفظ يقصد به بادي البشرة (أو ظاهر البشرة) وهي صفة فلابد أن يسبقها الموصوف وهو الإنسان (إذ إن من الحيوان أيضا ما هو بادي البشرة) غير أن لفظ إنسان الذي يسبق لفظ بشر يحذف عادة اكتفاء بكلمة بشر » .

وهذا الاستدلال من المؤلف باللغة حجة عليه لا له أيضا ، لأنه إذا كان يعترف بأن ألفاظ « أناسي وناس وإنسان وإنس وإنسي » مشتقة من بعضها البعض فهل جعل مدلولها واحدا ؟ إنه على الرغم من ذلك جعل المدلول مختلفا كما هو واضح مما سبق .

كما أن تاج العروس كما نقل عنه يعلل للسر في اختلاف اللفظين (إنسان، بشر) حروفا مع أن المدلول واحد ، وبعبارة أخرى يعلل لوجه الاختلاف بين لفظين مترادفين ، كيف يطلق على أحدهما إنسان وعلى الآخر بشر ، وهذه هي الدلالة المصاحبة للدلالة الأصلية التي ذكرتها فيما سبق ، ولكن المؤلف ــ عافاه الله ــ لم يفطن إلى هذا ، كما لم يفطن لما نقله عن الشيخ الشعراوي متعلقا بهذه القضية ، وأما ما ذكره سوى ذلك في العبارة فلا يستحق ردا لتكلفه

وفي ص ١٠٧ :

يعلق الكاتب على استنتاجه من الآيات السابقة فيقول : (من كل ما تقدم يتضح أن الله سبحانه وتعالى خلق البشر بعد أن خلق الإنسان ، ومتطورا عنه ، وفي ذلك يقول : ﴿ **ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** ﴾ (الاعراف ١١) .

---

(١) تفسير أبي السعود ٥ / ١٩٤ .

يقول المفسرون : إن الله عز وجل شأنه يقول : ﴿ **خلقناكم ثم صورناكم أى خلقنا أباكم آدم ثم صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** ﴾ .

ثم يقول : «وفى رأيى أن الله سبحانه وتعالى يخاطبنا بأنه بعد أن خلقنا كانسان ثم صورنا كبشر ببداية آدم أمر الملائكة بالسجود له باكتمال صورته البشرية » .

ولا دليل له فى هذه الآية على ما يذهب إليه ، لأن الله سبحانه وتعالى يعبر عن خلق آدم وتصويره بخلقنا وتصويرنا ، لأننا خلقنا جميعا دفعة واحدة بخلق آدم مطمورين فى ظهره ، ثم تناسلنا منه بعد ذلك ، وفى هذا دلالة على قدرة الله سبحانه وعلى نعمته وفضله على البشر ، ونسق الآية الكريمة فى مخاطبتنا جميعا يتفق مع نسق الآية السابقة عليها فى الامتنان بالفضل والنعمة ، والآية السابقة مباشرة : ﴿ **ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون** ﴾[1] (١٠) .

فى نفس الصفحة أيضا يورد الآية الكريمة: ﴿ **هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا** ﴾ (الانسان ١) ثم يذكر بعض آراء المفسرين فى المراد بالانسان والمراد بكونه لم يكن شيئا مذكورا ، ويرفضها ، ثم يذكر آية من سورة مريم وهى ﴿ **أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا** ﴾ (٦٧) .ثم يعلق على الآيتين بقوله (ص١٠٩) :

ومن هاتين الآيتين يمكننا أن نقول إن الانسان بالاضافة إلى أنه لم يكن شيئا قبل أن يخلق (كما جاء فى سورة مريم) فإنه أيضا لم يكن شيئا مذكورا لفترة من الدهر بعد أن خلق (كما جاء فى سورة الإنسان) .

« أما القول بأن « حين من الدهر » هى مدة لبث الانسان فى بطن أمه أو نطفة فى صلب أبيه ، فلا يمكن الأخذ به ، فهل تسعة أشهر من الحمل يمكن أن نعدها حينا من الدهر ، وهل النطفة تعد شيئا غير مذكور .. تلك الآية المبهرة التى عن طريقها تستمر الأحياء جميعها من إنسان (وحيوان) جيلا بعد

(١) لمزيد من التفصيل حول هذه الآية الكريمة انظر متشابه النظم القرآنى فى قصة آدم عليه السلام ص ٢٥ للباحث .

جيل ، وخلقا وراء خلق ، لقد ذكرها المولى فى كتابه العزيز مرات ومرات فهل نعتبرها بعد ذلك شيئا غير مذكور ؟ .

وفى ص١١١ يقول :

« إننى أرى قول الله العلى العظيم ﴿ **هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا** ﴾ هو أحد الأدلة القوية على أن هناك إنسانا قد خلق قبل البشر الآدميين ، أى قبل أن يخلق ادم عليه السلام ، وقد استمر ذلك الإنسان حينا من الدهر لم يكن خلاله ذا قيمة ما ، فلا هو كالأنعام التى خلقها الله لفائدة الانسان ، ولا هو قد وصل لمرتبة الانسان بمفهومنا الحالى بشرا ذا عقل وإدراك ، وذلك بالضبط ما ينادى به العلم والعلماء ، إذ قد أثبت العلماء فى حفرياتهم وجود أنواع متعددة من الانسان مثل إنسان بكين وإنسان جاوا .. وغير ذلك كانت تعيش قبل ظهور الإنسان ، وفى كتاب الله العزيز ما يؤيد ذلك القول ، فيقول سبحانه :

﴿**وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون** ﴾ (البقرة ٣٠) .

ثم يعلق على هذه الآية بقوله : « لقد حار العلماء فى تفسير قول الملائكة « **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** » وذلك لأن الملائكة لا علم لهم بالمستقبل ، وفى ذلك يقول القرآن الكريم على لسانهم : ﴿ **سبحانك لاعلملنا إلا ما علمتنا** ﴾ (البقرة ٣٢) .

ثم يذكر بعض آراء المفسرين القدامى ويردها ، ولا يرتضى تفسيرا لهذه الآية إلا تفسيرا واحدا لأحد المعاصرين ، لأنه يتفق مع ما يذهب إليه فى التطور فيقول: (ص ١١٢)

« وأخيرا فقد ورد فى التفسير الفريد للدكتور محمد عبد المنعم الجمال أن هناك رأيا بأن الله جعل آدم خليفة عن نوع آخر فى الأرض بعد أن أفسد فيها

وسفك الدماء » (1) .ثم يعقب عليه بقوله :

« وفي رأيي أن هذا التفسير الأخير هو التفسير الصحيح ، وأنه كان على الأرض إنسان قبل أن يخلق الله الإنسان البشرى ، وكان هذا الانسان يسفك الدماء بل إن هذا بالضبط ما عثر عليه في الحفريات .. الخ » .

ونتوقف هنا وقفة نبين فيها أن الآيات التي أوردها المؤلف في هذا المجال لا تخدم فكرته ، ولا تؤيد استنتاجه ، بل هي في واد غير واديه .

أما عن قوله تعالى ﴿ **هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا** ﴾ .

فليس فيه دليل على أن الحين من الدهر هو الذى كان قبل خلق آدم ، وأن إنسان ذلك الحين هو الذى كان قبل آدم ، ذلك لأن الانسان هنا في الآية الأولى هو الانسان البشرى من نسل آدم ، وقد مر عليه حين من الدهر لم يكن له وجود أو مرت عليه مراحل لا يطلق عليه فيها انسان كمرحلة العنصر والنطفة والعلقة .. الخ ثم سواه الله تعالى ، وخلقه في أحسن صورة ، ويعضد هذا قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ **إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا.** ﴾ أما قوله (فهل تسعة أشهر من الحمل يمكن أن نعدها حينا من الدهر ؟ وهل النطفة تعد شيئا غير مذكور؟ فنقول له نعم ، إن الحين يطلق على المدة المحددة من الدهر طالت أو قصرت (2) كما أن النطفة تعد شيئا غير مذكور ، بمعنى أنها في عالم الخفاء والغيب عن المشاهدة ، فلا تذكر إذا ما قيست بالإنسان في عالم المشاهدة والحضور وعلى هذا يكون النفي منصبا على القيد دون المقيد ، يقول الزمخشري : غير مذكور نطفة في الأصلاب ، والمراد بالإنسان جنس بني آدم بدليل قوله : ﴿ **إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج..** ﴾(3) ، ويجوز أن يكون المراد بالإنسان في الآية الأولى آدم عليه

---

(1) هذا رأى لا يؤيه له لمخالفته للنصوص الصريحة . (2) انظر لسان العرب مادة (حين) .
(3) الكشاف ٤ / ١٩٤ .

السلام، فقد مر عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا قبل خلقه، ويكون المراد فى الآية الثانية هو من تناسل من ذريته بدليل : إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه [1]

والمؤلف يفسر (لم يكن شيئا مذكورا) بمعنى كان شيئا لا قيمة له ، مع أن الشيئية لا تعنى ما ذهب إليه كما وضحنا ، على أنه يمكن أن يكون المقصود ـ والله أعلم بمراده ـ لم يكن له وجود فى الوقت السابق على وجوده، فيكون النفى منصبا على القيد والمقيد معا [2]ويكون المراد بالإنسان آدم كما ذكرت .

أما عن آية مريم ﴿ **أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا** ﴾ واستنتاجه القائل بأن هذه الآية تتحدث عن الانسان قبل خلقه ، وأما الآية الأخرى : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر ﴾ فتتحدث عن الإنسان بعد خلقه وقبل خلق آدم وهو الذى تناسل منه ، فنقوله له : لا مجال للربط بين الآيتين ، فكل منهما فى واد غير الآخر ، وقد وضحنا ما يتعلق بآيتى الانسان ، أما اية مريم فتتحدث عن الكافر الذى أنكر البعث ، بدليل الآية السابقة عليها: ﴿ **ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا** ﴾ فالله سبحانه يرد على هذا الكافر بأن الدليل على امكان بعثه بين يديه وفى نفسه ، فإذا كان يستكثر أو يتعجب من الإحياء بعد العدم والموت للبعث فعليه أن يتذكر خلقه ، فقد وجد من العدم أول مرة ، وفى حكم العقل أن إعادة الشئ تكون أهون من البداية ، وفى ذلك يقول الحق سبحانه : ﴿ **وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ [3] والله سبحانه تستوى عنده الأشياء ، فليس هناك هين وأهون، وأنما هو يخاطبنا على قدر ما نعرفه من طبائع الأشياء فى الحياة ، ولذلك

---

(١) انظر تفسير أبى السعود جـ٩ ص ٧

(٢) وله نظائر فى الاستعمالات العربية الفصيحة مثل : « لا ترى الضب بها ينحجر » وقول امرئ القيس، على لاحب لا يهتدى بمناره فليس هناك ضب أصلا ، ولاحب ولا منار انظر المثل السائر لابن الأثير ٢ / ٢٤٨ – ٢٥٠ تحقيق وتعليق د / بدوى طبان ود / إحمد الحوفى ، دار نهضة مصر بالفجالة .

(٣) الروم آية ٢٧ .

يقول بعد ذلك : ﴿ **وله المثل الأعلى فى السموات والأرض** ﴾ .أما عن قوله تعالى ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ..** ﴾ واستدلاله من الآية ــ بعد رفض بعض آراء المفسرين حولها ــ على أن هناك إنسانا سابقا على آدم كان يفسد فى الأرض ويسفك الدماء وهو الذى تطور عن خلقه آدم ، والملائكة عندما قالوا ذلك قالوه عن تجربة سابقة علموها ، فنقول له: ليس هناك إشكال فى قول الملائكة هذا يترتب عليه وجود إنسان سابق على آدم ، وإنما عرف الملائكة ذلك بإخبار من الله تعالى ، فقد روى أنه تعالى لما قال لهم : إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا : ربنا ما يكون ذلك الخليفة ؟ قال تعالى : يكون له ذرية يفسدون فى الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا ، فعند ذلك قالوا ما قالوا ، أو أنهم علموا ذلك بتلق من اللوح المحفوظ ، أو باستنباط عما ارتكز فى عقولهم من اختصاص العصمة بهم ، أو بقياس لأحد الثقلين على الأخر»[1] .

وعلى الوجه الأول يكون فى الآية حذف يعلم من المقام ، والتقدير : (وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ، وإنى عالم أنه سيكون من ذريته من يفسد فى الأرض ويسفك الدماء) فاكتفى عن إيراد المحذوف بما ذكر فى الآية ، لأن فيه دلالة على المحذوف اختصارا [2] وأما قوله سبحانه ﴿ **إنى أعلم ما لا تعلمون** ﴾ فيتضمن أننى أعلم من مصالح المكلفين مالا تعلمونه، وما يكون مخالفا لما تظنونه على ظواهر الأمور [3].

ومن الواضح أن المؤلف عندما يذكر بعض آراء المفسرين حول آية معينة لا يأتى بالآراء التى تبين الآية على وجهها الصحيح حتى يكون له منفذ فى تطويع الآيات لفكرته .

---

(١) تفسير أبى السعود ص١٢ ، جـ١ .

(٢) انظر أمالى المرتضى ـ الشريف المرتضى ص ٧٠ ، دار الكتاب العربى بيروت ١٣٨٧ ـ ١٩٦٧ هـ

(٣) الكشاف للزمخشرى جـ١ ، ص٥٠ . وأما ما حكاه القرآن عنهم بقولهم : ﴿ لا علم لنا إلا ما علمتنا ﴾ فكان فى مقام الدلالة على.عجزهم عن الانباء بأسماء المسميات كلها التى علمها الله لآدم عليه السلام ، وليس فى مقام الاخبار عن العجز عن علم الغيب كما ذهب المؤلف .

وأظن أنه بعد هذا البيان لا محل لقوله ـ تعقيبا على ما ذكره حول الآية الأخيرة : (ص١١٢) « لا شك أن الملائكة قد شاهدوا ذلك الإنسان الذى يفسد فى الأرض ويسفك الدماء ، ولذلك قد سألوا الله عز وجل كيف يجعل ذلك الإنسان خليفة له فى الأرض ، ورد عليهم سبحانه بأنه يعلم ما لا يعلمون، إذ إنه كان فى طريقه إلى خلق الإنسان البشر الذى ينفخ فيه من روحه، وبذلك تكتمل الصورة » .

ثم يعضد هذه الفكرة المردودة بقوله سبحانه : ﴿ **ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم . وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين**﴾ .

وقد سبق أن بينا أن المتحدث عن خلقه بالانسان أو البشر هو آدم عليه السلام وبذلك لا محل لقوله تعقيبا على هذه الآيات وما قبلها : (ص ١١٣) « من ذلك يتضح أن البشر نو ع من الانسان قد خلقوا من نفس مادته من صلصال من حمأ مسنون ، وأنهم خلقوا بعد خلق الانسان ، ولذلك فإن آدم (أبا البشر) لا يمكن أن يكون أبا للانسان السابق لوجوده ، بل لابد أن يكون ابنا له .» .

ثم يسوق دليلا آخر على صحة هذا الاستنتاج المرفوض بقوله : (ص١٣٣)

« وهناك دليل آخر يشير إلى صحة ذلك .. يقول المولى سبحانه : ﴿ **إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم** ﴾ (آل عمران ٣٣ ـ ٣٤) .

« لا شك أننا نتفق جميعا على أن نوحا وآل ابراهيم وآل عمران هم من ذرية آدم ، وأنهم من البشر . غير أن السميع العليم ينص على آدم أيضا واحد من الذرية ،إذ لم يستثنه فى الآيتين السابقتين من أن ينطبق عليه ذلك اللفظ مثله كمثل نوح وآل ابراهيم وآل عمران » .

ثم يقول : « فإذا عرفنا الذرية بأنها النسل فعلى هذا الأساس نرى أنه كما أن نوحا وآل إبراهيم وآل عمران هم من نسل آدم ، فان آدم هو أيضا من نسل

سلف سابق .. وبعبارة أخرى لأب سابق ، إذ إن لفـظ ذرية يشمـل الأبناء فقط ، ولا يشمل الآباء ﴾ .

ومرة أخرى نقـول : إن الذى لم يفطن جيدا لنظم القرآن الكريم يقول ما يقول ، ويستنتج ما يستنتج ولو كان ذلك على حساب العطاء الصحيح لهذا النظم، فالذى يأخذ بظواهر الألفاظ منسلخة عن سوابقها ولواحقها يضرب فى تيه بعيد عن الصواب .

والمؤلف يذهب إلى أن الذرية تطلق على الأبناء دون الاباء ، وهذا حق وصدق ، ولكنه يجعل ذلك منسحبا على كل من تقدم آباء وأبناء وهم آدم ونوح وآل ابراهيم وآل عمران ، ولم يتنبه ـ عافاه الله ـ إلى أن المذكور قبل ذكر الذرية آباء وأبناء ، فهل تنطبق الذرية على الآباء والأبناء جميعا ؟ إن القرآن الكريم لو أراد المعنى الذى يذهب إليه المؤلف لقال : إن الله اصطفى آدم ونوحا وإبراهيم وعمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض .. وبذلك يدخل آدم فى الذرية ـ على احتمال ـ كما يريد هو أن يدخل ، لكن القرآن الكريم خص الاصطفاء مباشرة بأبى البشرية آدم‌ثم نوح،ثم لأن ابراهيم عليه السلام تناسل من ذريته أنبياء‌كثير جعل الاصطفاء فى ذريته وآله [1] ويدخل فى ذلك بالطريق الأولى من هو أصل فى الاصطفاء للذرية ، وهو ابراهيم عليه السلام ، كما يدخل فى تلك الذرية المصطفاة نبينا محمد ﷺ ، لأنه من ذرية إبراهيم ، وهو دعوة أبيه ابراهيم، ولم ينص عليه صراحة لأن ذلك أصبح أمرا مشهورا معلوما لا يحتاج إلى تصريح به ، ولأن سياق الكلام السابق كان حديثا عن دين الاسلام وأنه الدين الذى لا يقبل دين سواه ﴿ **إن الدين عند الله الاسلام** ﴾ ثم توالى

---

(١) ولذلك أعرب الزمخشرى (ذرية) بدلا من ال ابراهيم وآل عمران ، فكأنه قال : (إن الله اصطفى آدم ونوحا وذرية ابراهيم وذرية عمران) انظر الكشاف ١ / ٤٢٤ .

الحديث عن أهل الكتاب والكفار وموقفهم من هذا الدين ، ثم كان قوله تعالى فى الآيتين السابقتين على هاتين الآيتين مباشرة ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم . قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين** ﴾ (٣١ ـ ٣٢) . وأما اصطفاء آل عمران فقد خصوا بالذكر مع أنهم من سلالة ابراهيم عليه الصلاة والسلام أيضا لإظهار مزيد الاعتناء بأمر عيسى عليه السلام لكمال رسوخ الخلاف فى شأنه ، ولأن نسبة الاصطفاء إلى الأب الأقرب وهو عمران أدل على تحققه بصورة آكد فى الآل وهم من تناسل من عمران كموسى وعيسى ومريم .

وإنما خص آدم بالذكر من بين الأنبياء لأنه أبو البشر ومنشأ النبوة و لأنه علم الأسماء كلها وأمرت الملائكة بالسجود له وسكن الجنة .

وأما نوح عليه السلام فلأنه آدم الثانى [1] ، وهو أول من نسخ الشرائع حيث نسخ تزويج المحارم ، كما أطال الله عمره وجعل ذريته هم الباقين واستجيب دعوته على الكفرة ، وحمله الله على متن الماء فى السفينة .. ألخ .

والخلاصة :

إنه إذا كان المذكور فى الآية السابقة على قوله جل شأنه : ﴿ ذرية بعضها من بعض ﴾ آباء وأبناء أوذرية ، فمن يكون المقصود بلفظ الذرية ؟ هل هم الآباء أو الأبناء أو الجميع ؟ .

---

(١) أى الأب الثانى للبشرية بعد اجتياح الطوفان .

إن الكاتب يؤكد ـ وهذا حق ـ أن لفظ الذرية يشمل الأبناء فقط ، ولا يشمل الآباء ، وقد استشهد بعدة آيات تؤكد ذلك (ص ١١٣) وهكذا يسوق المؤلف كثيرا من الحجج والبراهين وهى عليه لا له ، وكأنه بذلك يلفت القارئ ـ دون قصد ـ إلى الفهم الصحيح لنظم القرآن الكريم .

وفى ص ١١٤ يقول المؤلف : « ننتقل الآن إلى خطوة أخرى : إن آدم أبو الآدميين ، فهل هو أبو البشر أجمعين ؟ فى رأيى أننا لا يمكننا الجزم بذلك .. إن الله يقول للملائكة ﴿ **إنى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون**﴾ وكلمة بشر تحتمل المفرد كما تحتمل الجمع ، كما أن الله سبحانه يقول : ﴿ **إن الله اصطفى آدم ...**﴾ وهذا الاصطفاء يمكن أن يكون من بين الإنسان ، وبذلك يكون آدم أبا للبشر ، كما يمكن أن يكون اصطفاء من بين البشر وبذلك يكون ادم أبا للآدميين دون سائر البشر .

ثم يقول أيضا : « كما يذهب بعض المفسرين فى قوله تعالى ﴿ **إنى جاعل فى الأرض خليفة** ﴾ إلى أن ذلك يعنى قوما يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل ، ولا يعنى آدم فقط ، وبناء على ذلك يكون قوله تعالى : ﴿**ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** ﴾ يعنى أنه سبحانه قد خلقنا نحن الإنسان وأتم صورتنا كبشر وبعد ذلك اصطفى من البشر آدم ليكون أبا لنا نحن الآدميين» .

ويمكن إيجاز النقاط التى أوردها المؤلف فى هذه العبارة يعضد بها وجهة نظره فيما يلى :

١ - لفظ البشر يحتمل الإفراد والجمع .

٢ - ما يحتمله لفظ آدم فى الآية الكريمة : ﴿ إن الله اصطفى آدم .. ﴾

٣ - موضوع الخلافة فى الآية الكريمة : ﴿ إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾ .

٤ - ما يتعلق بالآية القرآنية : ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ .

٥ - ما نقله فى هامش الكتاب عن المرحوم الامام محمد عبده من أنه ليس

فى القرآن نص أصولى قاطع على أن جميع البشر من ذرية آدم[1] .ونبدأ بمناقشة هذه النقاط نقطة نقطة نبين فى كل منها وجهة نظر المؤلف ، ثم نذكر وجهة النظر الصحيحة ، وبالله التوفيق .

١ — يرى المؤلف أن لفظ بشر يحتمل الإفراد والجمع ، وهذا صحيح فى ذاته وتقول به معاجم اللغة ،ولكن اذا كان اللفظ فى ذاته يحتمل ذلك ، فما الذى يحدد أحدهما دون الآخر ، لا شك أن نظم الكلام هو الذى يحدد الإفراد فقط أو الجمع فقط ، وإن كان اللفظ فى ذاته غير داخل فى نظم أو سياق يحتمل الاثنين ، فإذا قلنا مثلا : محمد عليه الصلاة والسلام خير البشر ، فما الذى يعنيه لفظ البشر هنا من حيث الإفراد أو الجمع ؟ لا شك أنه يدل على الجمع وحده ، وهذا كما فى قوله جل شأنه ﴿ نذيرا للبشر ﴾[2] وفى قوله سبحانه فى السورة نفسها وقبل هذه الآية : ﴿ إن هذا إلا قول البشر ﴾ فلفظ البشر فى الأولى يدل على جمع ، وفى الثانية يدل على مفرد وهو محمد ﷺ ، إذ يحكى القرآن الكريم ذلك عن الوليد بن المغيرة ، أى ما هذا إلا قول بشر هو محمد لا ملك من السماء جريا على عادة الكفار فى ذلك كما سبق [3]

فإذا ما جئنا للآية التى نحن بصددها : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ﴾ فهل يحتمل لفظ (بشرا) فيها الإفراد أو الجمع كما يقول المؤلف؟ أظن أن الذى يقرأ الاية كلها ويفهم أن الملائكة أمرت بالسجود لهذا البشر يفهم أنه فرد واحد وهو آدم ؛ لأن الملائكة لم تؤمر بالسجود لمجموعة من البشر ، والذى يدفع المؤلف لهذا هو شئ فى نفسه يريد أن يلوى عنق اللفظ ليصل إليه ، وهو أن ادم كان واحدا من البشر ، ولم يكن أبا لجميعهم ، وإنما لمجموعة منهم ، وأبوته لجميع البشر احتمال قليل ، ولذلك يقول فى عبارته السابقة : « والأرجح أنه من البشر ، وربما كان أبا للبشر أجمعين » .

وقد بينا فيما سبق أن مدلول لفظ إنسان وبشر فى الايات التى ذكرناها :

---

(١) تفسير المنار مجلد ٤ ، ص٦٧ . (٢) المدثر ٣٦ .

(٣) وأصرح من هذا فى الدلالة على الإفراد ﴿ قالوا أنؤمن لبشرين مثلنا ﴾ (المؤمنون ٤٧) .

﴿ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون﴾ هـو آدم لاغير

٢ـ أما فيما يتعلق بقوله جل شأنه : ﴿ إنه الله اصطفى آدم .. ﴾ والذى يذهب فيه إلى أن هذا الاصطفاء إن كان من بين الانسان يكون آدم أبا للبشر ، لأن الإنسان فى رأيه سابق على البشر ، وإن كان من بين البشر يكون آدم أبا للآدميين أى من تناسل من ذريته فقط دون سائر البشر ، وهو طبعا يميل إلى الاحتمال الثانى كما رأيت فى الفقرة السابقة .

وهذه المقولة مبنية على استنتاج خاطئ سبق أن ذكرناه ورددناه ، وهو أن آدم واحد من الذرية المذكورة فى الآية الثانية ﴿ ذرية بعضـها من بعض ﴾ وقد رأينا بطلان ذلك ، ولذلك يبطل ما بنى عليه ، وآدم مصطفى أبا للانسانية جمعاء، وليس اصطفاء من بين الإنسان ولا من بين البشر ، وكأنه واحد من كليهما ، ولم يتناسل جميعهما منه .

ثم إن المؤلف يناقض نفسه دون أى يدرى . ألم يسبق أن ذكر أن الله سبحانه لم يطلق لفظ إنسان على أحد من الأنبياء ، لأن مدلول هذا اللفظ لم يكن مكتمل الخلقة كبشر ؟ فلماذا يجعل لفظ آدم هنا يمكن أن يراد به فرد من أفراد الإنسان ، ويكون ادم مصطفى من بينهم ؟ وكيف يكون مصطفى من بينهم وهم جميعا لم تكتمل صورتهم الخلقية كبشر على رأيه ؟.

٣– أما فيما يتعلق بقوله تعالى ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة** .. ﴾ الآية ، ونقل المؤلف عن بعض المفسرين أن ذلك يعنى : **قوما يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل ولا يعنى آدم فقط فليس فيه دليل على ما يذهب إليه من أن آدم سبق بقوم يخلف بعضهم** بعضا كانوا فى صورة إنسان ، ثم فى صورة بشر ، ثم اصطفى الله آدم من بين البشر ليكون أبا للآدميين ، كما فهمه أيضا من الآية الأخرى : ﴿ **ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** .. ﴾ وقد بينا الوجه الصحيح فى فهم الآية الثانية ، كما بينا الوجه الصحيح فى فهم الآية الأولى سابقا .

وحتى على رأى بعض المفسرين الذين ينقل عنهم أن المراد قوم يخلف

بعضهم بعضا – إن صح هذا النقل – فإنه لا يخدم وجهة نظره ، لأن مرادهم بقوم يخلف بعضهم بعضا أن الأجيال من بعد آدم تتعاقب من ذريته ، ويخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن، فليس آدم فقط هو الخليفة الوحيد فى الأرض ، وإن كان الخليفة الأول ، ثم أعقبته بعد ذلك خلفاء أخرون ، وهذا معنى قول المفسرين ولا يعنى آدم فقط ، وليس المراد أن آدم فى زمنه لم يكن منفردا بهذه الخلافة بل كان معه غيره من البشر الذين انحدروا من فصيلة الانسان الذى انحدر هو منها أيضا ، ثم اصطفاه الله من بينهم .

٤ – أما ما يقوله فى الآية القرآنية : ﴿ **ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ..** ﴾ وهو : أن الآية تعنى أنه سبحانه قد خلقنا نحن الإنسان فأتم صورتنا كبشر ، وبعد ذلك اصطفى من البشر آدم ليكون أبا لنا نحن الآدميين فقد سبق أيضا أن بينا أن الآية تتحدث عن خلق آدم ، وأننا جميعا خلقنا بخلقه ، والآية تشير إلى امتنان الله سبحانه على الخلق أجميعن بخلق آدم ومن خلقوا مطمورين فى خلقه ، وهذا الامتنان كان فى الاية السابقة واردا على صورة الجمع أيضا ﴿ **ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون** ﴾ ولما كانت نعمة الخلق هذه ليست خاصة بآدم وحده عليه السلام أتت الآية بصيغة الجمع ، فكأن كل واحد منا خلق ثم صور بخلق آدم وتصويره ، فينبغى على البشر جميعا أن يشكروها ، ولما كان أمر السجود مرتبطا بآدم وحده دون ذريته أفرد القرآن الكريم آدم بالذكر فى قوله جل شأنه : ﴿ **ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** ﴾ وإذا كان ذلك تكريما لآدم عليه السلام ففيه تكريم أيضا لذريته من بعده ، لأنهم تناسلوا من هذا الأب الذى أمرت الملائكة بالسجود له .

ورب قائل يقول : كان المناسب أن ترد الآية الثانية ﴿ **ولقد خلقناكم ثم صورناكم ..** ﴾ قبل الآية الأولى ﴿ **ولقد مكناكم فى الأرض** ﴾ ، إذ الخلق والتصوير سابقان على التمكين فى الأرض وجعل المعايش فيها .

نقول : لو ورد السياق على هذا الترتيب لكان مجموع ما ورد فى الآيتين نعمة ينبغى الشكر عليها ، ولكن ورود الآيتين على هذا النظم فيه إشارة إلى أن

ما تضمنته كل منهما من نعم يستحق الشكر استقلالا ، فالله يمتن على عباده بما فى الآيتين من نعم ، كل على حدة .

وبذلك يتضح أن الخلق والتصوير فى الآية الثانية لآدم أصلا ، ولذريته ضمنا ، والقرآن الكريم تارة يصرح بالأصل الأصيل الذى خلق منه الإنسان وهو التراب أو الطين ثم النطفة .. إلى أن صار المخلوق رجلا ، كما فى قوله جل شأنه : **﴿أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا ﴾** [١] (الكهف ٣٧) .

وتارة يتحدث عن مرحلة ما بعد التراب ، أى المرحلة المباشرة لخلق الإنسان ، وهى النطفة كما فى قوله عز شأنه :**﴿ فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ﴾** (الطارق ٥ ـ ٧) .

وتارة يقتصر على مرحلة التراب أو الطين فقط ، ويكون المقصود بذلك آدم عليه السلام ، أو هو وذريته باعتبار أن خلقه من التراب أو الطين متضمن لخلقهم جميعا من ذلك ، كما فى قوله جل شأنه :**﴿ وبدأخلق الانسان من طين ﴾** (السجدة ٧) ثم تحدث عمن تناسل منه بعد ذلك .

وتارة رابعة يتحدث عن الواسطة التى بين خلق كل فرد منا وبين الطين الذى خلق أبوه الأول منه وهو آدم ، إذ هو متناسل منه ، فهو مخلوق من طين بالواسطة، ثم يفصل القرآن الكريم مراحل الخلق بعد المرحلة الطينية بالواسطة كما فى قوله جل شأنه :**﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا اخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾** (المؤمنون ١٢ ـ ١٤) .

هذه بعض صور مراحل خلق الانسان فى القرآن الكريم ،وهى صور يكمل بعضها بعضا [٢] فلا تناقض بينها ولا تعارض ، وإنما لكل صورة معينة منها اعتبار يناسب سياقها [٣] ، ويتفق مع نظمها الذى وردت فيه ، وقد يبدو ـ لغير

---

(١) المخاطب فى الآية الكريمة وإن لم يكن آدم عليه السلام لكنه متناسل من ذريته ، وهو مخلوق من التراب بإعتبار خلق أبيه الأول ، فلا ينبغى له أن يتكبر أو يتعالى على صاحبه أو ينكر البعث ، لأن القادر على خلق أبيه الأول من التراب قادر على بعثه بعد مماته من التراب مرة أخرى . (٢) انظر الحديث المفصل عن ذلك فى بحث آخر للمؤلف بعنوان : متشابه النظم القرآنى فى قصة آدم عليه السلام ص ٣٩ (٣) وهى تفسر أيضا قوله تعالى ﴿ وقد خلقكم أطوارا ﴾

المتمرس بأساليب القرآن الكريم ـ بعض التعارض فيما بينها من وحهة نظره ، فيلجأ إلى استنتاجات معينة فى مراحل الخلق لا تتفق مع العطاء اللغوى والنظمى للقرآن ليزيل هذا التعارض المتوهم عنده ، مع أنه لا تعارض حقيقة كما ذكرت وسنرى فى تعرضنا لبعض الآيات القرآنية التى عرضها الكاتب شيئا من ذلك .

٥- أما فيما يتعلق بما نقله عن المرحوم الإمام محمد عبده فهو بشر يخطئ ويصيب ، ولعله يريد أن كون جميع البشر من ذرية آدم بهذا النص الصريح لم يرد به نص صريح فى القرآن الكريم ، أى أن كون آدم أبا لجميع البشر هو استنتاج من آى القرآن الكريم التى تحدثت عن ذلك ، وإن لم يصرح بذلك ، وهو استنتاج لا يتعارض مع النصوص الصريحة فى القران الكريم ، ولا يخالف ما أجمع عليه المسلمون ، وفى الحديث الشريف : (كلكم لآدم وآدم من تراب)[1] والسنة موضحة لما أجمل فى القرآن الكريم ومفصلة له ، وليس فى القرآن الكريم أيضا نص على أن صلاة الظهر أربع ركعات ولكن علمنا تفصيل ذلك من السنة ، والرسول ﷺ يقول : (لقد أوتيت القرآن ومثله معه) ، ولا يخفى ما يريده المؤلف من ذلك ، وهو أن ادم ليس أبا حتى لجميع البشر ، فبعد أن نفى وينفى كونه أبا للأناسى والناس والانسان يتشكك فى أنه أب لجميع البشر ، بل ويرجح أنه ليس أبا لجميعهم دون سند صحيح من القرآن الكريم .

ويستمر الكتاب فى تأكيد مفهومه السابق حول تطور خلق الانسان ، فيطرح سؤالا ، ويجيب عنه إجابة تتفق مع وجهة نظره فيقول : (ص ١١٥) « غير أنه لتساؤلنا سؤال .. إذا كنا نحن الآدميين بشرا ولسنا الإنسان كله ولا الناس كافة .. فلم يخاطبنا الله عز وجل بقوله : أيها الناس أو يأيها الإنسان ولا يخصنا دائما بالبشر .. ؟ .

« الإجابة يجيبها رجال العلم فى تطابق رائع بين العلم والقرآن ، يقول علماء الإنسانيات : إن ما يعيش فى الأرض فى زماننا الحالى من جميع أنواع الناس

---

(١) روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول ﷺ : (الناس كلهم بنو آدم وآدم من تراب) وفى هذا أيضا ما يرد استنتاجه حول المفهوم السابق للناس وأن آدم متناسل منهم .

الذين خلقهم الله سبحانه هو الإنسان البشر ، فلا يوجد في الأرض إنسان ولا ناس آخرون ، فإذا خاطبنا المولى عز وجل مرات كثيرة بقوله : أيها الإنسان أو يأيها النـــاس فلأنه لا يوجد في الأرض إنسان ولا ناس سوانا ، وعلى عكس ذلك لم يخاطبنا إطلاقا (ولو مرة واحدة) بقوله : أيها الأناسي لأنه يعيش في الأرض معنا الآن بل حتى هذه اللحظة أناسي آخرون ولا يمكن أن يوجه المولى لهم خطاباً ، فهم لا يعقلون ، ولعل في ذلك تأكيدا آخر على اختلاف مرمى اللفظين : الناس والأناسي .

أظن أنني لست في حاجة إلى الإجابة الصحيحة عن هذا التساؤل بعد ما بينت سابقا العلاقة الصحيحة بين أناسي والناس والإنسان والبشر ، وهي تتفق تماما مع نداء الله سبحانه وتعالى لنا بالناس وبالإنسان ، وأما لفظ بشر فقد بينا شيئا من سر التعبير به في القرآن الكريم على الوجه الصحيح .

وإذا كانت هناك بعض الإضافات هنا فإنها تتمثل في ورود لفظ أناسي في القرآن الكريم مرة واحدة دون الناس والإنسان ، ومن يتمعن فيما ذكرته سابقا يجد أن (أناسي) هي الجمع النكره للفظ إنسي أو إنسان ، وعندما يقتضي السياق أو النظم ورود هذا اللفظ على هذا النحو يرد في موضعه وعندما لا يقتضيه السياق لا يرد ، وقد بينا فيما سبق حسن موقعه في الآية الكريمة التي ورد فيها .

وأما نداء الناس والانسان في القرآن الكريم فيكفي بعد ما سبق أن نقول : ما جاء على أصله لا يسأل عن علته ، وسياق النظم يقتضي النداء بالناس أحيانا ، وبالإنسان أحيانا أخرى ، وهم أهل للخطاب والنداء ، وليس من المعقول أن ينادي الله سبحانه وتعالى البشر بلفظ الناس أو الإنسان مع أن مدلول هذا اللفظ متطور من غيره ، وسيتطور مرة أخرى إلى غيره وهم البشر كما يرى المؤلف .

ثم يطرح سؤالا آخر يقول فيه : (ص ١١٦)

« وهنا يبرز سؤال آخر .. إذا كنا جميعا بشرا فلم لم يخاطبنا الله بقوله : أيها البشر ؟ .. الإجابة أن في ذلك دليلا آخر على صحة التطور ، فإذا كنا جميعا بشرا فهل يمكن لأحد منا أن يتكهن بمستقبل البشر حتى يوم الدين ؟ ألا

يقول سبحانه : ﴿ **إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين** ﴾(النساء ١٣٣) .

﴿ **إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد** ﴾ (ابراهيم ١٩) .

فلو خاطبنا الخالق الفاطر بقوله : أيها البشر لتعارض ذلك مع الآيتين السابقتين، ولكان في القرآن اختلاف كثير .

« **ومن ذلك يتضح أن عدم مخاطبتنا بأيها البشر هو اية أخرى على صحة** التطور الذى يقول فيه الخالق المصور : ﴿ **مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا** ﴾ » .

ومرة أخرى لست فى حاجة إلى بيان جديد حول مواقع لفظ (بشر) فى القرآن الكريم ، ولكن الذى يعنينى هنا ما يشير إليه المؤلف من احتمال تطورالبشر فى الخلق إلى صورة أخرى ، فهل يا ترى هذه الشريعة الإسلامية التى هى خاتمة الشرائع ستناسب هذا البشر المتطور ؟ أو أن هناك شريعة أخرى على يد نبى اخر ستكون لهم[1] ؟ هذا تساؤل يحتاج إلى إجابة من الداروينيين ونحن فى انتظار الإجابة ؟ .

أما نحن فنعلم أن محمداً رسول الله هو خاتم النبيين ، وأن دينه خير الأديان وآخرها .

أما استدلاله على إمكان هذا التوقع فهو بعيد بعيد ، ولا علاقة للآيتين مطلقا بما يتكهن به هو وأمثاله فى المستقبل ، وذلك ناتج عن عدم الوعى الكامل بنظم الآيات والعبارات فى القرآن الكريم ، وعندما نراجع سياق الآيتين اللتين ذكرهما نجد أنهما فى واد آخر غير واديه .

---

(١) وتكون متطورة هى الأخرى لتناسب التطور الجديد للبشر ؟ الواقع أن المؤلف يناقض نفسه دون أن يدرى ، فإذا كان قد علل لعدم مخاطبة الله إيانا بلفظ البشر لاحتمال تطوره فلم خاطبنا سبحانه **بلفظى الناس والانسان مع أنهما متطوران من مخلوقات سابقة ، وقد تطوروا إلى بشر بعد ذلك فى رأيه ؟ أما محاولته الإجابة عن هذا السؤال فيما سبق فهى غير مقنعة لاصطدامها بالنصوص الصريحة فى خطاب الناس والانسان بالمعنى المعروف فى اللغة .**

سياق الآية الأولي :

﴿ ولله ما فى السموات وما فى الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما فى السموات وما فى الأرض وكان الله غنيا حميدا ، ولله ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا ، إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا ﴾ (النساء ١٣١ ـ ١٣٣) .

فهذه الآيات فى جملتها تتحدث عن قدرة الله البالغة ، وعن غناه عن خلقه وطاعتهم ، فلا تنفعه طاعة ولا تضره معصية ، والتقوى التى أمرنا وأهل الكتاب بها إنما هى رحمة بنا ، فإن كفر البشر فهو غنى عنهم ، لأن له مُلك السموات والأرض ومن فيهما يتصرف فيهما كيف يشاء بالإيجاد والإعدام ، ولا يتأبى على قدرته سبحانه أن يذهب جميع هؤلاء الكفار ويأتى بآخرين غيرهم ، فالكلام مسوق للتهديد والوعيد ، ولبيان طلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى وليس للدلالة على أن ذلك سيحدث ، لأن الله سبحانه لم يشأ ذلك ، فليس هناك توقع حدوث التبديل والإفناء [1] ، كما أن الآية تتحدث عن طائفة خاصة من البشر وهم الكفار بدليل سياق الآية الكريمة ﴿ وإن تكفروا .. ﴾

سياق الآية الثانية :

وأما الآية الثانية التى استشهد بها فقد وردت فى سياق آخر معين هو :
﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد . ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ، وما ذلك على الله بعزيز ﴾ (١٨ ـ ٢٠) .

وهنا أيضا نجد الحديث عن الكفار ، وكذلك الحديث عن السموات والأرض ، وكل هذا سابق لأمر الإذهاب والإتيان بآخرين ، فقوله جل شأنه : **﴿ إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ﴾** بعد ما سبق لتهديد الكفار ،

---

(١) وإن كان ذلك ليس مستحيلا على قدرة الله تعالى .

ولبيان قدرة الله على ذلك ، لأن الحديث السابق كان عن الكفار وعن قدرة الله سبحانه وتعالى فالذى خلق السموات والأرض ـ وخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس كما ورد فى آية أخرى ـ قادر على إذهاب هؤلاء الكفار ، والإتيان بخلق جديد ، فالسياق السابق واللاحق للعبارة المستشهد بها يدل على كمال قدرة الله سبحانه كما هو واضح فى الآيات، وكما سبق فى الآية السابقة

ولما كانت الآية الأولى قد وردت فى سياق التوصية لأهل الكتاب والمسلمين بالتقوى صراحة ، ثم الحديث عن الكفار فى حال الاستمرار على الكفر إن لم يستجيبوا لهذه التوصية وأصروا على العناد والكفر ناسب أن يزاد فى التهديد توجيه الخطاب بالإذهاب إلى هؤلاء الناس الذين سبق الحديث عنهم بهذه الصورة ، ولذلك كانت الآية الأولى مزيدا فيها ﴿ أيها الناس ﴾ ﴿ **إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين** ﴾ دون الثانية التى لم يسبق فيها إلا تمثيل وتصوير حال أعمال الكفار يوم القيامة .

هذا فضلا عن أن القرآن الكريم ـ وهذا من دقة النظم ـ استعمل أداة الشرط (إن) الداخلة على المضارع دون (إذا) للدلالة على أن هذا أمر غير محقق ، وهذا هو الأصل فى استعمال هذه الأداة ، وهذا شئ يعرفه أهل اللغة ، فإذا دخلت الأداة على الماضى ، أو كانت الاداة (إذا) الشرطية كان للآية مدلول آخر، وهو تحقق الوقوع أو توقع تحققه بالنسبة لمدخول (إذا) ولذلك لم يستعملها القرآن الكريم هنا .

وحتى لو وقع مدلول (إن) فرضا واحتمالا فإن الآخرين المأتى بهم سيكونون أيضا علىَ شاكلتنا ، لأن شريعة محمد ﷺ هى خاتمة الشرائع .

ومرة أخرى يناقض المؤلف نفسه ، فهو فى الكتاب يؤكد أن الأحياء يتناسلون من بعضهم البعض ، ولذلك يرى ـ حسب استنتاجه ـ أن آدم تناسل من أحياء سابقة ، وخلق من نطفة كغيره ، لأنه لا يمكن لحى أن يخلق من غير حى ، وهنا يرى أن القرآن الكريم لم يخاطبنا بالبشر لأن هناك احتمالا أن يتطور البشر إلى صورة أخرى ، ثم يستشهد على ذلك بالآيتين الكريمتين ، بينما الآيتان

تتحدثان عن إذهاب الناس والإتيان بآخرين ، فكيف يكون الآخرون صورة متطورة من بشر قد ماتوا وفنوا جميعا وهو يرى أن التطور لا يكون إلا لحى من حى سابق عليه ؟.

وهناك آية ثالثة فات المؤلف أن يستشهد بها فى هذا المقام كعادته ، وإن لم يكن له فيها شاهد أو دليل ، وإن كانت من النمط نفسه الذى أورده ، بل هى حسب رأى الداروينيين أوقع فى الاستشهاد لتعرضها لعدم المثلية ، ولا بأس من إيرادها هنا حتى لا يكون للمؤلف أو لأمثاله فيما بعد حجة فيها .

يقول الحق تبارك وتعالى فى آخر سورة محمد عليه الصلاة والسلام :
﴿هأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ (اية ٣٨) .

المولعون بنظرية دارون والقول بالتطور الشكلى فى الخلق يفهمون هذه الآية فهما شكليا أيضا لا يتفق مع جلال القرآن وعظمته ونظمه ، فيفسرون هذه المثلية ـ إن وردت الآية على خواطرهم ـ أنها مثلية شكلية لبشر آخرين مختلفين فى هذه الشكلية عن هذا البشر الذين قد يكونون من وجهة نظرهم أشباه البشر مستقبلا ، وإذا أوردوا هذه الآية فإنهم يوردون منها فقط قوله تعالى : **﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾** فيفصلون هذه العبارة عن سياقها كما رأينا هنا ، ثم يفسرون المثلية بما يتفق مع نظرية دارون ، ويقولون : تطابق رائع بين الدين والعلم ، إن فى الآية دليلا اخر على التطور كما صنع صاحبنا .

ولنورد شيئا حول هذه الآية الكريمة : وردت هذه الآية ضمن سياق سابق يوضح المراد بالمثلية فيها ، وذلك فى قوله جل شأنه : **﴿ إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤكتم أجوركم ولا يسألكم أموالكم إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم ، هأنتم هؤلاء .. ﴾** (الآيات ٣٦ ـ ٣٨) .

فالسياق كان حديثا عن اللعب واللهو فى الحياة الدنيا ، وهذا يناقض الإيمان

الصحيح والتقوى ، ولذلك كان قوله تعالى بعد ذلك :﴿ **وإن تؤمنوا وتتقوا..**﴾ ونفى سؤال الأموال هنا مرتبط بها كلها ، لأن المطلوب من المؤمن قدر يسير منها هو الزكاة ، وما زاد عليها فهو تطوع ، ولذلك قال : ﴿ **إن يسألكموها** ﴾ أى كلها يحفكم تبخلوا ، أى يجهدكم بطلب الكل فتظهر أضغانكم بسبب ذلك ، ثم استمر الحديث بعد ذلك عن الإنفاق فى سبيل الله، لأن ذلك كله من علامات الإيمان والتقوى ، ولا يتم إلا بهما ، ولذلك كان قوله تعالى :﴿ وإن تتولوا ﴾ معطوفا على قوله جل شأنه ﴿ وإن تؤمنوا وتتقوا ﴾ أى وإن تتولوا عن الإيمان والتقوى وما هو من لوازمهما كالإنفاق فى سبيل الله وعدم البخل ، يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ، أى لا يكونوا أمثالكم فى هذا التولى عن الإيمان والتقوى وما يستتبعهما ، فالمثلية هنا مرتبطة بسياق الآية والآيات السابقة .

لا يخفى أيضا ـ بعد ما سبق ـ دلالة (إن) الشرطية الداخلة على المضارع فى الآية .

فهل يحق للمؤلف بعد هذا أن يقول ما قال فى عبارته السابقة ؟! وهل يحق له أيضا أن يطرح هذا السؤال : « هل آدم أب للبشر وللانسان والناس جميعا ؟» ثم يجيب عنه بقوله : (ص ١١٦) .

« الإجابة نعم هو أب لكل هؤلاء ، ولكن للحاليين فقط ، وليس أبـا للإنسان والناس قاطبة ، إن من هؤلاء أنواعا قد خلقها الواحد المصور قبل خلقه بألوف السنين ، فهو بذلك ابن للسابقين وأب للاحقين ، والبشر والإنسان والناس الحاليون هم الأخيرون ، وهم جميعا بشر » .

❊ ❊ ❊

آدم ... كيف خلق ؟؟

تحت هذا العنوان (ص١١٨) أراد المؤلف أن يتوصل من خلال فهمه لبعض الآيات القرآنية المتعلقة بالخلق إلى نتيجة معينة هى أن آدم متناسل من ذرية سابقة عليه ، وأنه لم يخلق من تراب ، وإنما خلق من نطفة معينة كسائر البشر ، فهو متطور من إنسان آخر سابق عليه غير مكتمل الصورة البشرية ، هذا الإنسان الآخر هو ـ كغيره من سائر الحيوانات ـ المخلوق من التراب .

ولنعرض فيما يلى للآيات القرآنية التى أوردها ، واستخلص منها ـ على طريقته ـ هذه النتيجة العجيبة .

ـ قوله تعالى :﴿ **يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء** ﴾ (النساء١) .

ـ ﴿ **وهو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها** ﴾ (الأعراف ١٨٩) .

ـ ﴿ **خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها** ﴾ (الزمر ٦)

ـ ﴿ **وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع** ﴾ (الأنعام ٩٨) .

يكاد يجمع المفسرون على أن هذه النفس الواحدة هى آدم ، وأن الزوج المذكور هى حواء خلقت من أحد أضلاع آدم ، ثم تناسل منهما بعد ذلك الرجال والنساء ولنقرأ تحليله للنفس الواحدة ولزوجها بعد أن تعرض لبعض التحليلات حول ، مكونات النفس . يقول : (١٢٦) .

« ونخلص من ذلك إلى أن أنفسنا مهما تختلف فى ظاهرها وفى طبائعها وسلوكها فإن تركيبها جميعا واحد ، فقوله تعالى : ﴿ **خلقكم من نفس واحدة** ﴾ يعنى خلقكم من جنس ونوع وطبيعة واحدة بالضبط كما نقول مثلا : إننا نقيم معرضا للكتاب ، فإن تلك الكتب التى نعرضها ربما بالملايين مهما تعدد أحجامها وأشكالها ولغاتها وكتابها وموضوعاتها وأسلوبها وأماكن

نشرها وطرق تغليفها فجميعها تشترك فى أنها نوع واحد ــ الكتاب » .

ثم يقول : (ص ١٢٧) :

« إن هذه النفس الواحدة لا تعنى آدم ، كما أن خلق منها زوجها لا تعنى خلق حواء من ضلع آدم [1] .. ولكن المعنى الذى يقصده سبحانه وتعالى هو أنى خلقتكم جميعا من نفس واحدة هى النفس البشرية ، وخلقت لكم أزواجكم من تلك النفس ، فإذا كنتم ذكورا فقد خلقت لكم الإناث ، وإن كنتم إناثا فقد خلقت لكم الذكور » .

ثم يستدل على صحة رأية بقوله : (ص ١٢٧)

« ودليل صحة ذلك هو قوله تعالى : ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة** ﴾ (لقمان ٢٨) .

« فإذا أخذنا بتفسير أن النفس الواحدة هى آدم خلقنا جميعا منها ، فهل سنبعث كنفس واحدة هى آدم ؟؟! إن معنى تلك الآية الكريمة هو أننا خلقنا نوعا واحدا من جسد وروح ، وأننا سنبعث أيضا جسدا وروحا ، وفى ذلك يقول المولى : ﴿ **وإذا البحار سجرت وإذا النفوس زوجت** ﴾ (التكوير ٦ ــ ٧) .

« أما القول بأن حواء خلقت من أب هو آدم بدون أم استنادا إلى قوله سبحانه: ﴿ وخلق منها زوجها ﴾ فهو فى رأيى تفسير لا صحة ولا سند له »[2] .

ثم ينقل عن تفسير المنار :

« وأما قوله تعالى فى سورة النساء : ﴿ **يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها** ﴾ .

وفى سورة الأعراف :

﴿ **وهو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ..** ﴾.

فقد قال غير واحد من المفسرين أن المعنى من جنسها ، كما قال فى سورة الروم : ﴿ **ومن اياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ..** ﴾ .

(١ ، ٢) هذه مخالفة صريحة لنص الحديث الذى ورد فى البخارى : استوصوا بالنساء خيرا ، فإنهن خلقن من ضلع ، وسيأتى مزيد بيان لذلك .

« فإن المعنى هناك على أنه خلق أزواجا من جنسنا ، ولا يصح أن يراد أنه خلق كل زوجة من بدن زوجها كما هو ظاهر .

ثم يعلق على ذلك بقوله : (ص ١٢٨) .

« من كل ما تقدم أرى أن المولى سبحانه حين يقول ﴿ **خلقكم من نفس واحدة** ﴾ أو أن ﴿ **خلقكم وبعثكم كنفس واحدة** ﴾ فإن تلك الوحدة لا تعنى وحدة الكم ، بل تعنى وحدة الكيف .. إنها لا تعنى وحدة العدد (آدم) بل تدل على كثرة فى العدد ووحدة فى الصنف (النفس البشرية) تماما كما نقول أن الله قد خلق من الحيوان حصانا واحدا ، أو غرابا واحدا بل إن استعمال كلمة (نفس) المفردة الدالة على الجمع قد ورد كثيرا فى كتاب الله الكريم :

﴿ **وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله** ﴾ (آل عمران ١٤٥)

ثم ذكر عدة آيات أخرى مشابهة (ص ١٢٨ ـ ١٢٩) .

ونتناول بالرد ما أورده فى الفقرات السابقة ، وبذلك تسقط كل النتائج المترتبة عليها .

إنه يفسر الوحدة فى الآيات الكريمة بوحدة الجنس والنوع والطبيعة الواحدة ، ولكن من أين له هذا التفسير ؟ إن الذى يلجئه إلى ذلك هو الهدف الذى يسعى إليه ، والذى سيفصح عنه بعد قليل مع أن المقصود بهذه النفس فى الآيات وبزوجها آدم وحواء والوصف بالوحدة هنا يعنى إبراز قدرة الخالق جل وعلا فى خلق هذه الذرية المخاطبة فى الآية الكريمة من نفس واحدة ، وخلق زوجها منها ، وبث الكثير من الرجال والنساء من هذين الأصلين ، يقول الآلوسى رحمه الله : « والمراد من النفس الواحدة آدم عليه السلام »[2] ويقول ابن منظور فى لسان العرب : وقوله تعالى :﴿ **الذى خلقكم من نفس**

---

(١) هذه مخالفة صريحة لنص الحديث الذى ورد فى البخارى « استوصوا بالنساء خيرا ، فانهن خلقن من ضلع » وسيأتى مزيد بيان لذلك .

(٢) روح المعانى جـ ٤ / ١٨٠ مكتبة دار التراث .

واحدة ﴾ يعنى آدم عليه السلام وزوجها يعنى حواء (مادة نفس جـ٢) والخلق أصلا يرتبط بالذات وما يلابسها ، لأنه إيجاد من عدم ، والذرية التى تناسلت من هذه الذات كانت على طبيعة ونوع وجنس هذه الذات ، وقدم الحديث عن خلق المخاطبين على خلق حواء ، لأنه أدخل فى المرادوهو الامتثال للأمر بالتقوى ، وقدم الجار والمجرور (منها) على (زوجها) للإشارة إلى مبدئية الخلق من آدم مع ما فى التقديم من التشويق للمؤخر ، وكان التعمير بالزوجية مناسبا لما بعده من حديث التناسل المفهوم من ﴿ **وبث منهما رجالا كثيرا ونساء** ﴾ [١] .

والمثال الذى ضربه بقوله : كما نقول مثلا إننا نقيم معرضا للكتاب فان تلك الكلمة .. الخ هو قياس مع الفارق ، لأن قولنا : معرضا للكتاب (أل) فى الكتاب للجنس أى معرضا لكل ما هو من جنس الكتاب ، ولو قال القرآن الكريم : الذى خلقكم من النفس لربما أمكن أن يقال : خلقنا من جنس النفس وما تتصف به وتشتمل عليه كما يقول ، ولكنه سبحانه قال من نفس واحدة ، أى من ذات واحدة ، لا أنفس متعددة ، فالتأكيد بصفة الوحدة هنا يفيد وحدة الذات ، لأن النكرة صالحة بذاتها للدلالة على الجنس أو الوحدة ، فاذا قلت (جاءنى رجل) احتمل أن يكون المراد : جاءنى رجل لا امرأة ، أو جاءنى رجل لا رجلان ولا ثلاثة ، فإذا وصفت النكرة بالوحدة فقلت : جاءنى رجل واحد تعينت النكرة للدلالة على الوحدة فقط لا على الجنس ، ولذلك لما كان المقصود نفى التعدد فى الآلهة قال الله تعالى : ﴿ **وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد** ﴾ (النحل ٥١) .

فذكر لفظ اثنين بعد إلهين يفيد أن المقصود الدلالة على العدد ولذلك قال الله سبحانه بعدها : ﴿ **إنما هو إله واحد** ﴾ فأكد لفظ إله بواحد ليدل على أن المقصود بالنكرة الوحدة ، ولو قال : إنما هو إله لاحتمل أن يكو المراد إثبات الألوهية لا تأكيد الوحدة ،وفى ذلك يقول الزمخشرى رحمه الله :

« فإن قلت : إنما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا

---

(١) انظر المرجع السابق .

عندى رجال ثلاثة وأفراس أربعة ، لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص ، وأما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد ، فلا حاجة أن يقال : رجل واحد ، ورجلان اثنان فما وجه قوله إلهين اثنين ؟ .

قلت : الاسم الحامل لمعنى الإفراد والتثنية دال على الجنسية والعدد المخصوص، فإذا أريدت الدلالة على أن المعنى به منهمًا والذى يساق له الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد إليه والعناية به ، ألا ترى أنك لو قلت : إنما هو إله ولم تؤكد بواحد لم يحسن ، وخيل أنك تثبت الألوهية لا الوحدانية[1]». فاذا أريد بالنكرة الجنس والنوع كما يذهب المؤلف لم توصيف النكرة بالوحدة ، وعلى هذا النمط كان قوله تعــــالى : ﴿ **وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم** ﴾ (الأنعام ٣٨) أما الآيات الأخرى[2] التى ذكرها ، وورد فيها لفظ (نفس) نكرة مثل قوله تعالى: ﴿ **وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا** ﴾ (آل عمران ١٤٥) فالتنكير فيها للعموم والشيوع على ما هو الأصل فى دلالة النكرة ، إذ ليس المقصود فيها نفس معينة أو خاصة ، ومن هذا المنطلق كانت دالة على الجمع ، بخلاف وصفها بالوحدة كما سبق .

هذه هى طبيعة دلالة النكرة ، فاللغة مقننة ولها قواعد وأصول ينبغى أن تراعى، ثم إنى أسأل المؤلف ، هل لو قلنا:أقمنا معرضا لكتاب واحد (كما فى نفس واحدة) شمل ذلك ملايين الكتب التى يطلق عليها لفظ كتاب ؟؟ .

هذا ولا ينبغى ألا يغيب عن البال أن النظم فى الآيات الثلاث التى تحدثت عن النفس الواحدة وزوجها من سور النساء والأعراف والزمر كان فيه بعض اختلاف لأسرار وأغراض كالتعبير عن خلق زوجها بالخلق فى سورة النساء ، والتعبير عن ذلك بالجعل فى سورتى الأعراف والزمر ، وعطف الخلق أو الجعل

---

(١) الكشاف للزمخشرى ص ٤١٣ جـ٢ وينظر خصائص التراكيب ١٦٣ / ١٦٤ د . محمد أبو موسى ودراسات فى علم المعانى فى ضوء النظم القرآنى ص ٦٢ / ٦٣ د . عبد الجواد محمد محمد طبق .

(٢) انظر هذه الآيات ص ١٢٨ ـ ١٢٩ فى الكتاب المردود عليه .

بالواو فى سورتى النساء والأعراف ، وعطف الجعل بثم فى سورة الزمر ، ونكتفى بالاشارة إلى بعض أسرار النظم فى هذا المقام .

أما التعبير عن خلق حواء بالخلق فى النساء فلأن سورة النساء أولى السور الثلاث التى تعرضت لهذه القضية ، فكان التنصيص على خلق حواء من آدم هدفا مقصودا مع ما فى ذلك من تناسب مع اسم السورة وموضوعها ، وأما التعبير بالجعل فى سورتى الأعراف والزمر فللإشارة إلى الغاية من خلق الأنثى ، وهى كونها زوجا للرجل ، خلقت من أجله ، فليس المقصود الاخبار عن خلقها فى ذاته ، لأنه معلوم ضمنا من قوله سبحانه ﴿ **خلقكم من نفس واحدة** ﴾ وللإشارة إلى نوع أخر من الخلق فيه غرابة كما سيأتى .

وكان العطف بثم فى آية الزمر على خلاف ما فى النساء والأعراف للدلالة على التراخى الرتبى لا الزمنى ، لأن الله سبحانه ذكر فيها آيتين ، إحداهما خلق البشر جميعا بالتناسل من آدم ، وهذا أمر مستمر ، وثانيهما نوع آخر من الخلق أبلغ فى الدلالة على وحدانية الله وقدرته وفضله ، لم تجر به العادة ، وهو خلق حواء من أحد أضلاع آدم ، ويعلل الألوسى لذلك بقوله : « لتفاوت ما بينهما فى الدلالة ، فإنهما وإن كانتا آيتين دالتين على ما مر من الصفات الجليلة لكن خلق حواء من الضلع أعظم وأجلب للتعجب ، ولذا عبر بالجعل دون الخلق ، فثم للتراخى الرتبى ، ويجوز فيه كون الثانى أعلى مرتبة من الأول وعكسه [1] وبذا تكتمل حلقات هذه القضية من مجموع الآيات الثلاث والله أعلم .

وبهذا يتضح أن النفس الواحدة هى آدم وأن زوجها هى حواء كما قال جمهور المفسرين [2] وليس المقصود بالنفس الواحدة جنس النفس البشرية وبزوجها صنفها ونوعها . وكون النفس الواحدة التى خلقنا منها هى آدم وكون زوجها حواء خلقت منه لا ينفى أن نكون نحن جميعا بما فينا حواء قد أتينا على جنس ونوع وطبيعة آدم ، لأننا متناسلون منه ، فلا تنافى ، ولايمنع هذا تناسلنا منه جميعا ، لكن هذا مفهوم بالتبعية من الآية ، وليس هو الدلالة الأصلية فيها ، إذ إن الدلالة الأصلية وهى ـ كما ذكرت ـ تناسلنا جميعا

---

(١) روح المعانى للألوسى مجلد ١٢ / ٢٤٠ وانظر الكشاف ٣ / ٣٨٨ .
(٢) وكما ورد فى الحديث الصحيح .

من نفس واحدة تقتضى أن نكون نحن على طبيعة ,وجنس آدم وكذلك كنا فعلا، وسنبعث يوم القيامة على طبيعته وجنسه أيضا ، وهذه الدلالة التبعية تكون هى الدلالة الأصلية فى قوله تعالى ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ...** ﴾ لأن النفس الواحدة هنا لم تذكر فى الآية كما فى نفس آدم فى الآيات السابقة ولابد أن نفطن لهذا .

بل إننا إذا ترقينا فى الاستدلال نُبقى لفظ الأنفس فى الآية الأخيرة دالا على الذات أيضا ، وليس معنى ذلك أن كل زوجة خلقت من نفس زوجها ، لكن التعبير مراعى فيه الأصل الأصيل فى ذلك ، وهو خلق حواء من نفس آدم ، أى من ذاته ، فكأن كل زوجة فيما بعد خلقت من نفس زوجها ، وهذا الاعتبار يتلاءم مع السكون المذكور فى الآية الكريمة ، لأن حواء إذا كانت من ضلع آدم كان ذلك أدعى إلى سكونه إليها ، وأنسه بها ، لأن الإنسان يسكن إلى بعضه كما يسكن الأب إلى ابنه ، ولا يمنع ذلك ملاحظة الجنس أيضا كما ذكرت، وهذا ما نحا إليه الزمخشرى فى آية الأعراف التى أوردها المؤلف وهى قوله تعالى: ﴿ **هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها** ﴾ وذلك فى قوله :[1]

(من نفس واحدة) هى نفس آدم عليه السلام (وجعل منها زوجها) وهى حواء ، خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه ، أو من جنسها كقوله ﴿ جعل لكم من أنفسكم أزواجا ﴾ (ليسكن إليها) ليطمئن إليها ويميل ولا ينفر ، لأن الجنس إلى الجنس أميل ، وبه آنس ، وإذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة أبلغ كما يسكن الإنسان إلى ولده لكونه بضعة منه ، وقال ليسكن ، فذكر بعدما أنث فى قوله : واحدة ــ منها زوجها ــ ذهابا إلى معنى النفس ، ليبين أن المراد بها آدم ، ولأن الذكر هو الذى يسكن إلى الأنثى ويتغشاها ، فكان التذكير أحسن طباقا للمعنى)

أما الاقتصار فى دلالة الخلق أو الجعل للزوجة من الزوج على الجنس أو النوع كما يذهب مؤلف الكتاب ففضلا عن كونه مخالفا للعرف اللغوى لا قيمة له ، لأن ذلك لا يختص بنوع الإنسان ، فإن أنثى كل نوع هى من نوعه ،

---

(١) الكشاف ٢/ ١٣٦ .

ولذلك وجدنا الزمخشرى بعد أن ردد المقصود فى ﴿ وجعل منها زوجها ﴾ بين البعضية والجنسية مزج بينهما في التعليل الوارد فى كلامه بعد ذلك ، وفى هذا تأييد لما ذهبت إليه من الدلالة الأصلية والفرعية فى هذا المقام ، لا ما ذهب إليه مؤلف كتاب (خلق الإنسان بين العلم والقرآن) من الجنسية والنوعية بالمعنى الذى قصده .

وعلى هذا ينبغى أن يفهم ما ذهب إليه صاحب المنار نقلا عن بعض المفسرين ، لأن ما ذهبوا إليه هو المفهوم بالتبعية للدلالة الأصلية .

والخلاصة أن وحدة الكيف التى يقول بها المؤلف لا تنفى وحدة الكم ، كما أن وحدة الكم المقصودة هنا لا تنفى وحدة الكيف ، وإذا كان المؤلف لا يعترف بما يقوله الزمخشرى ،وأمثاله فى هذه القضية فلن يصح عنده شئ بعد ذلك .

وإذا كان مؤلف الكتاب يريد نصا أكثر صراحة عل خلق حواء من آدم فالحديث الشرف المصدر الثانى للتشريع يقول : « استوصوا بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع .... » [1] أى خلقن من ضلع بخلق الأم الأولى من ضلع آدم ، على حد « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ... » .

والغريب أن المؤلف يستدل علس صحة رأيه بقوله جل شأنه : **﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ﴾** (لقمان ٢٨) ثم يعلق على الآية بقوله : « فإذا أخذنا بتفسير أن النفس الواحدة هى آدم خلقنا جميعا منها ، فهل سنبعث كنفس واحدة هى آدم ؟! إن معنى تلك الآية الكريمة هى أننا خلقنا نوعا واحدا من جسد وروح وأننا سنبعث أيضا جسدا وروحا ...ألخ .

أرأيت ، أيها القارئ الكريم ــ كيف كان هذا البعد عن فهم الآية ؟ إن الآية الكريمة واردة على سبيل التشبيه ، فما المشبه والمشبه به ؟ المشبه هو خلقنا وبعثنا جميعا كما هو واضح فى الآية ، والمشبه به هو خلق وبعث نفس واحدة، ووجه الشبه هو سهولة التأتى ويسر المطلوب على الله سبحانه وتعالى ،

---

(١) الحديث وارد فى البخارى جـ٦ حديث رقم ٣٣٣١ شرح ابن حجر العسقلانى (فتح البارى) .

والغريب ايضا أن المؤلف يدرك أن النفس الواحدة هنا[1] هى آدم بدلالة بعض الآيات الأخرى كذلك ، ولذلك لجأ إلى تفسير آخر غير مرتبط بالذات ، وانما بالنوع حتى لا يكون متفقا مع جمهور المفسرين ، فيبتعد عن هدفه الذى يسعى إليه ، ويطوع له الآيات كما سبق وكما سيأتى ، وعلى ذلك تساءل هذا التساؤل الغريب: فهل سنبعث كنفس واحدة ؟ بمعتى هل سيبعث آدم وحده ونحن مطمورون فيه كما كنا كذلك عند خلقه ؟ وطبعا لا يقول أحد بذلك أبدا فالجواب لا ، ولكن الأساس الذى بنى عليه هذا التساؤل غير سليم ، ولذلك كانت إجابته بالنفى .

والمؤلف يلجأ أحيانا إلى توضيح غرضه بايراد بعض الأمثلة التى لا تتفق مع دلالة التعبير القرآنى الذى يريد ايضاحه ، فهو يفسر النفس الواحدة فى الآيات السابقة بأنها كل نفس متفقة فى النوع ، ولذلك يقول : « إن تلك الوحدة لا تعنى وحدة العدد (آدم) بل تدل على كثرة فى العدد ووحدة فى الصنف (النفس البشرية) تماما كما نقول : إن الله خلق من الحيوان حصانا وكلبا ومن الطير طاووسا وغرابا ، فلا يعنى ذلك حصانا واحدا أو غرابا واحدا .. الخ ، ومرة أخرى نقول له : القياس مع الفارق لأن قضيتنا أصلا فى وحدة المخلوق منه لا فى وحدة المخلوق ، أى فى الحيوان لا فى الحصان فى مثالك ، بينما تجعل أنت فى مثالك الوحدة المنفية وحدة المخلوق (الحصان) لا وحدة المخلوق منه (الحيوان) ، وحتى لو وافقناك على تمثيلك ، فإنك إذا قلت: إن الله خلق من الحيوان حصانا واحدا وكلبا واحدا . ألخ دل ذلك على الوحدة فى الذات ، ولا يخفى وصف النفس بالواحدة فى الآيات الكريمة ، وهذا يدل على وحدة الذات وهى آدم .

ولننتقل الآن إلى بعض الآيات الأخرى المتعلقة بالخلق لنرى ماذا يقول فيها :

فى ص ١٣٢ ـ ١٣٣ يقول :

« ورب قائل يقول : إذا كنت تدعى أن آدم ليس أبا للانسان (كما جاء فى

(١) فى قوله جل شأنه : ﴿ خلقكم من نفس واحدة ﴾ .

الباب السابق) وأن نفسا واحدة لا تعنى آدم خلقها الله بيديه خلقا خاصا من تراب فبماذا تفسر قوله تعالى : ﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** ﴾ (آل عمران ٥٩) أقول إن تلك الآية الشريفة تؤيد ما ذهبت إليه من رأى ، فرغم أننا جميعا نعلم أن عيسى عليه السلام خلقه الله تعالى من نطفة مريم العذراء أو بمعنى آخر رغم أن عيسى عليه السلام ولد من أم اسمها مريم فإن الله سبحانه يقول : إنه خلقه كما خلق ادم من تراب ، ثم قال له كن فيكون فلماذا إذن نعتبر أن آدم وحده خلق من تراب ؟ ... بل أكثر من ذلك ، هل ادم وعيسى فقط هما اللذان نص القرآن على خلقهما من تراب ؟ .

إن الله سبحانه يخاطبنا جميعا .. رغم تأكدنا من أن لنا آباء وأمهات بأنه خلقنا من تراب ، فلنستمع معا : ﴿ **أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا .....** ﴾ (الكهف ٣٧) ، ﴿ **الله خلقكم من تراب ثم من نطفة** ﴾ (غافر ٦٧) . ﴿ **ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون** ﴾ (الروم ٢٠) . ﴿ **وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد** ﴾ (الرعد ٥) ، ﴿ **وان كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة** ﴾ (الحج ٥) كذلك سوف يقول القائلون إن آدم خلقه الله سبحانه بيديه من طين كما جاء فى قوله : ﴿ **إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين** ﴾ (ص ٧١) ﴿ **قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين** ﴾ (ص ٦٧ ، الأعراف) فأقول وهل آدم وحده خصه الله بذلك ، يقول جل شأنه : ﴿ **وبدأ خلق الانسان من طين** ﴾ (السجدة ٧) ، ﴿ **هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا** ﴾ (الأنعام ٢) ، ﴿ **إنا خلقناهم من طين لازب** ﴾ (الصافات ١١) ، ﴿ **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين** ﴾ (المؤمنون ١٤) .

سيقول المفسرون أيضا إن الله سبحانه خلق آدم خلقا خاصا من الصلصال كما جاء : ﴿ **إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال..** ﴾

(الحجر ٢٨) .

﴿ **قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال** ﴾ (الحجر ٣٣)

فأقول إن الله لم يخص آدم فقط بذلك حيث جاء :

﴿ **ولقد خلقنا الانسان من صلصال** ﴾ (الحجر٢٦) .

﴿ **خلق الانسان من صلصال كالفخار** ﴾ (الرحمن ١١) .

من جميع تلك الآيات أرى أن الله سبحانه حين يقول : « إن آدم أو عيسى أو الإنسان قد خلقوا من تراب أو طين أو صلصال .. فإنما يعنى أن بدء خلقنا جميعا ، بل بدء المخلوقات جميعا هو التراب » . أ . هـ

إن المؤلف ـ كما قلت ـ يفهم الآيات الفهم الخاص الذى يتفق مع وجهة نظره هو ، فقوله تعالى : ﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ..**﴾ يعنى أن المماثلة هنا فى شئ خاص معين اتفق فيه آدم وعيسى عليهما السلام ، ولذلك لم يطلق القرآن الكريم أسلوب التشبيه هنا دون الاشارة إلى وجه الشبه الخاص ، وهو قوله : ﴿ خلقه من تراب ﴾ على النحو الذى روعى فى الاشارة إلى وجه الشبه لخصوصيته فى الحديث الشريف : « الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة » (١)

أما الشئ الخاص الذى أشبه فيه عيسى آدم عليهما السلام فهو غرابة الخلق ، وليس التراب ، لأن عيسى لم يخلق منه وإن كانت تلك الغرابة أقوى وأشد فى آدم عليه السلام لخلقه بدون أب وأم ، أما عيسى عليه السلام فقد خلق بدون أب فقط ، وهذا هو أصل الإلحاق فى التشبيه ، حيث يقوم على إلحاق الناقص بالكامل فى الصفة ، ولذلك أشار القرآن الكريم إليها بقوله : ﴿ خلقه من تراب﴾ ولو كان المراد أن عيسى يشبه ادم فى أنه خلق من نطفة كسائر الناس لما قال القرآن الكريم خلقه من تراب (٢) ، ولا يجوز لأى فهم أن يصادم تصريح

(١) انظر أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجانى ص ٢١٣ شرح وتعليق محمد رشيد رضا .

(٢) إذ أن وجه الشبه حينئذ ـ على رأيه ـ يكون عاما ، إذ جميع المخلوقات من التراب ، ولا خصوصية لآدم أو عيسى فى ذلك ، فما أشبه هذا بقولنا : محمد كالأسد فى الحيوانية أو فى الوجود ،، أو فى الاحتياج إلى الطعام والشراب ... ألخ . والمذكور فى الآية الكريمة وإن لم يكن وجه شبه اصطلاحيا فهو دليل عليه كما فى الحديث الشريف المذكور لخفاء الوجه .

القرآن الكريم ، هذا فضلا عن أن فهم التشبيه فى الاية الكريمة على وجهه الصحيح يحقق الغرض منه ، وهو قطع حجة النصارى فى تأليه عيسى أو جعله ابنا لله لخلقه بدون أب ، ولذلك يقول الزمخشرى فى تحقيق هذا التشبيه وبيان الغرض منه « ولأن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود من غير أب ، فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه »[1] .

أما الآيات التالية بعد ذلك والتى ساقها لتدعيم وجهة نظره فهى لا تمت بصلة قريبة أو بعيدة لها .

فقوله جل شأنه : ﴿ **أكفرت بالذى خلقك من تراب** .. ﴾ يعنى أنه خلقه من تراب بخلق أبيه الأول آدم من تراب ، إذ إننا خلقنا جميعا من تراب بخلق الأب الأول دفعة واحدة ، وسبق أن قلت إن القرآن الكريم أحيانا يراعى الأصل البعيد لخلقنا فيذكر التراب أو الطين وعندما يراعى الأصل القريب للخلق يذكر النطفة ثم العلقة ، وأحيانا يراعى الواسطة بين الأصل البعيد والقريب فى خلق الذرية فيذكر السلالة ... إلى آخر ما سبق ، ولكل اعتباره ومناسبته .

وفى ذكر التراب هنا فى هذه الآية : ﴿ **أكفرت بالذى خلقك من تراب** ..﴾ تذكير لهذا الكافر بأصل خلقه الذى لا يناسبه الفخر والتباهى بالمال والولد ، كما أن فيه إشارة إلى إمكان البعث الذى كفر به .

وأما ذكر التراب فى آية : ﴿ إن مثل عيسى عند الله .. ﴾ فللنعى على النصارى اتخاذهم المسيح إلها بالإشارة إلى غرابه الخلق كما سبق وفى الآيات الأخرى نجد أن ربط الخلق بالتراب للتدليل على إمكان البعث من القبور لصيرورة الناس فيها إلى التراب أيضا ، فالذى خلق من التراب أول مرة ـ وهذا شئ لا يجهلونه ـ يستطيع أن يعيد الناس منه مرة ثانية ، بل إن الإعادة ـ فى حكم العقل ـ أهون من البداية ﴿ **كما بدأكم تعودون** ﴾ ومن هذا المنطلق

---

(١) الكشاف ١ / ٤٣٣ .

يفسر العلامة أبو السعود آية الروم : ﴿ **ومن آياته أن خلقكم من تراب..**﴾ على النحو التالى : (ومن آياته) الباهرة الدالة على أنكم تبعثون دلالة أوضح مما سبق فإن دلالة تدبر خلقهم على إعادتهم أظهر من دلالة إخراج الحى من الميت وإخراج الميت من الحى ، ومن دلالة إحياء الأرض بعد موتها (أن خلقكم) أى فى ضمن خلق آدم عليه السلام لما مر مرارا من أن خلقه ﷺ ينطوى على خلق ذريته انطواءإجماليا (من تراب) لم يشم رائحة الحياة قط ، ولا مناسبة بينه وبين ما أنتم عليه فى ذاتكم وصفاتكم ﴿ ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ أى فاجأتم بعد ذلك وقت كونكم بشرا تنتشرون فى الأرض ، وهذا مجمل ما فصل فى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة .. الآية ﴾ (١) وعلى هذا النحو ينبغى أن تفهم الآيات الوارد فيها ذكر الخلق من تراب أو من طين ، وإنما اقتصرت آية الروم على مرحلتى البدء والنهاية فى الخلق ، لأن هذا أدل على كمال قدرة الله تعالى وأنسب للتعبير بقوله : ﴿ ومن آياته ﴾(٢) .

فلا غرور بعد ذلك أن نجد أن القرآن الكريم أحيانا يذكر خلق آدم من طين وأحيانا أخرى يذكر خلق الانسان من ذريته من طين كما ورد فى بعض الآيات التى ذكرها ، ولا تعارض أو تناقض ، فهذه كلها مقتضيات نظم أو سياق كما سبق (٣) .

والغريب أن المؤلف يورد ضمن الآيات السابقة التى استشهد بها قوله تعالى ﴿ **وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد** ﴾ مع أن هذه الآية ليست فى شأن الحديث عن الخلق من التراب ، وإنما هى واردة فى الحديث عن البعث ، فالكفار يتعجبون من بعثهم وإحيائهم وخلقهم خلقا جديدا بعد أن يصيروا ترابا فى القبور .

وإن تعجب فعجب هذا القول ، وهذه النتائج التى يتوصل إليها المؤلف !! .

---

(١) تفسير أبى السعود ٧ / ٥٤ .

(٢) انظرفى ارتباط مراحل خق آدم ومادة كل مرحلة بمقامها البحث المفصل للمؤلف بعنوان : متشابه النظم القرآنى فى قصة آدم عليه السلام ص ٣٩ .

(٣) انظر تفصيل ذلك فى البحث المشار إليه

أما الآيات الأخرى التى تحدثت عن خلق آدم من صلصال كما تحدثت عن خلق الانسان من صلصال فلا تعارض بينها ، وينبغى أن نفهم أنه إذا أريد بالانسان آدم فقد خلق من صلصال فعلا ، أما إذا كان المراد الانسان من ذريته فقد خلق أيضا من صلصال بخلق أبيه الأول منه كما ذكرت ذلك مرارا ، وكذلك الحال فى شأن الطين والتراب ، والقرآن الكريم يذكر الانسان أحيانا ويراد به آدم ، وأحيانا أخرى يراد به البشر من ذريته ، والذى يحدد أحدهما دون الآخر هو السياق والنظم كما ذكرت أيضا .

وأما قوله ـ تأسيسا على ما سبق : « من جميع تلك الآيات أرى ـ (ص ١٣٣) .. الخ ، فهذا ـ وان كان حقيقة ـ لكن القرآن الكريم لا يقصد التعبير عنها هنا فى الآيات بدلالة النص على المخلوق ، وإنما المقصود فى الآيات التى أوردها كلها التعبير عن بعض جوانب خلق الانسان من المادة المخلوق منها فى مراحل عدة تتكامل ولا تتعارض كالتراب والطين والصلصال ، سواء أكان هذا الانسان آدم أم غيره ، لاعتبارات معينة اقتضاها النظم كما أشرنا إلى شئ من ذلك [1]

مما سبق يتضح أنه لا صحة لما ذكره المؤلف فى جوابه عن سؤاله : (كيف خلق آدم اذن ؟) حيث يقول : (ص ١٣٣) .

« الإجابة إنه خلق من نطفة ـ كما خلق عيسى وكما خلق سائر البشر بل سائر الدواب ، ألم يقل المولى عز شأنه أنه خلق عيسى من تراب ، ونحن على يقين بأنه خلق فى أحشاء مريم .. ؟ هل هناك تعارض فى القولين ؟؟ لا تعارض . لأن أساس خلق الانسان جميعه فى الماضى السحيق هو الطين .. وأن آدم خلق بعد خلق الانسان ، فآدم من سلالة إنسان قبله ، والدليل على ذلك قوله سبحانه : ﴿ **وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون** ﴾ (السجدة ٧ ـ ٩)

---

(١) انظر المرجع السابق لصاحب هذا الرد .

المؤلف هنا يفسر الإنسان فى الآية الكريمة بأنه إنسان ما قبل آدم والذى تناسل منه آدم ، مع أن المقصود بالإنسان هنا آدم نفسه ، ثم تحدثت الآيات بعد ذلك عن تناسل ذريته منه وعن شئ من مراحل خلق هذه الذرية .

ولنقرأ تعليقه على هذه الآيات وما شابهها : (ص ١٣٤) .

« يقول الله إنه بدأ خلق الانسان من طين ، وهذا الانسان كان ينسل أبناء ثم أحفادا فى سلسلة .. فيكف كان يحدث ذلك النسل وذلك التكاثر ؟ كان يحدث بواسطة الماء المهين . أى بواسطة النطفة جيلا وراء جيل إلى أن ظهر الانسان السوى الذى أتم الله سواءه وعندئذ نفخ الله فيه من روحه فكان آدم وكان البشر .. . إذ إن بداية آدم وبداية البشر كانت بظهور الإنسان الذى نفخ فيه الله من روحه » .

ثم يقول بعد ذلك فى نفس الصفحة : « ولكن ينبغى لنا أن نتساءل : كيف وجد ذلك الإنسان الأول الذى أنتج فى النهاية آدم البشر بواسطة النطفة من الماء المهين ؟ هنا يجيب المولى سبحانه بقوله : ﴿ **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقنا اخر .** ﴾ (المؤمنون ١٢ ـ ١٤) ثم يقارن بين الاية الأولى من سورة المؤمنون وآية أخرى من سورة السجدة ﴿ **وبدأ خلق الانسان من طين** ﴾ ويستنتج من ذلك أن آية السجدة تتحدث عن خلق الانسان الأول الذى تناسل منه آدم أبو البشرية ، وآية المؤمنون تتحدث عن خلق آدم أبى البشرية .

مع أن آية السجدة تتحدث عن خلق آدم ثم عن تناسل ذريته منه بعد ذلك وآيات المؤمنون تتحدث عن خلق ذريته المتناسلة منه أو من الطين الذى خلق منه آدم ، ولذلك قالت : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ أى أنه لم يخلق من الطين مباشرة ، وإنما خلق منه عن طريق السلالة والتناسل من أبيه الأصلى وهو ادم الذى خلق مباشرة من الطين كما عبرت الآية السابقة من سورة السجدة(**وبدأ خلق الإنسان من طين**)ولذلك لما تحدثت آية السجدة عن

خلق آدم ذكرت لفظ (بدأ) لتدل على بداية خلق آدم من الطين ، ثم تحدثت عن نسله بعد ذلك الذى يمت بصلة إلى هذا الطين الذى خلق منه أبوه ، وإن كان خلقه المباشر من ماء مهين .

وبذلك يرد قول المؤلف (ص ١٣٦) .

« وفى هذا تأكيد بخلق أحياء سابقة للانسان قد نشأ منها ، ونشأت هى من الطين وكان هذا الانسان جدا لآدم » .

« أما عن المرحلة بين الانسان السابق لآدم وبين الانسان البشرى الآدمى فيدل على وجودها أيضا قوله سبحانه : **﴿ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر ﴾** (المؤمنون ١٤) ويستنتج المؤلف من هذه الآية مع سابقتها **﴿ولقدخلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾** أن هذا الانسان هو السابق على آدم ، وأن آدم تناسل منه عن طريق النطفة والعلقة .. الخ . ويعضد ذلك بعبارة **﴿ ثم أنشأناه خلقا آخر ﴾** أى آدم حيث كان مستوى الخلقة بخلاف الانسان الأول الذى تناسل منه آدم والذى خلق من الطين ، فلم يكن مستوى الخلقة على هيئة البشر » ا.هـ (انظر ص ١٣٥ - ١٣٦) .

ولا حاجة بنا أن ننبه إلى أن هذا الاستنتاج مبنى على أساس خطأ فيكون هو أيضا خطأ وباطلا لما ذكرناه .

ثم يقول : (ص ١٣٦) .

« ويستدل أيضا على وجود مرحلة التطور من إنسان غير ادمى إلى الانسان البشر من قوله سبحانه : **﴿ هل أتى الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ﴾** (الانسان ١ ـ٢) ، ويذهب إلى أن هذا الانسان هو الانسان السابق على ادم ، حيث يفسر (لم يكن شيئا مذكورا) بمعنى أنه كان شيئا ولكن لم تكن له قيمة تذكر ، كما يرى أن ذلك الانسان خلق من نطفة أمشاج ، فهو يفسر الانسان فى الآيتين بانسان ما قبل ادم ، وقد أشارت الآية الثانية إلى خلقه

من نطفة أمشاج ، أى أن ذلك الانسان (وغيره) قد خلق من نطفة من أبوين (ذكر وأنثى) وبذلك طوع الآيتين لوجهة نظره .

ولكن الصواب أن الانسان فى الأولى هو ادم أبو البشرية ، فقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شئيا مذكورا ، أى لا وجود له ، وليس بمعنى له وجود ولكنه عديم القيمة ، وأما الانسان فى الآية الثانية ﴿ **إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج** ﴾ فهو الإنسان المتناسل من آدم أبى البشرية وكذلك الأناسى والناس أجمعين ، وقد سبق بيان ذلك .

ومن الواضح أن المؤلف يفسر المراد بالانسان فى الآيتين تفسيرا يخدم وجهة نظره هو .

ولذلك يرد (ص١٣٦) على من يفسرون الانسان فى الآية الأولى بآدم بأنه يجب عليهم الاعتراف بأن ادم خلق من أبوين بنص الآية التالية مباشرة .

مع أن تحديد المراد بالانسان فى كل اية يقوم على السياق والنظم الذى وردت فيه الكلمة كما ذكرت قبل ذلك ، فالانسان الذى مضى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا يناسبه أن يكون آدم عليه السلام ، وأما الانسان الذى خلق من نطفة امشاج فيناسبه أن يكون من تناسل من ذريته فتكون الآيتان معا أشارتا إلى عظمة الخالق وقدرته فى خلق الانسان الأول وهو آدم من العدم ، ثم خلق من تناسل منه من ذريته بعد ذلك .

أو يكون المراد بالانسان فى الآيتين معا هو الانسان المتناسل من آدم عليه السلام ، ولا شك أنه مرت عليه فترة لم يكن شيئا مذكورا قبل تكوينه فى رحم أمه نطفة فعلقة .. الخ ، ثم تحدثت الآية الثانية عن شئ من مراحل خلقه ، وفى ذلك دلالة أيضا على قدرة الله تعالى ، فقد أوجده من العدم وهذه مرحلة ، ثم خلقه على مراحل عدة فى بطن أمه ، وعلى ذلك يكون المراد من الانسان الجنس ، ويكون الاظهار فى موضع الاضمار فى الاية الثانية لزيادة التقرير بقدرة الله تعالى فى خلق الانسان فى هاتين المرحلتين .

وعلى هذا فلا محل لقول المؤلف مرة أخرى (ص١٣٧) .

« مما سبق نرى أن آدم عليه السلام قد خلق من نطفة شأنه شأن الدواب على سطح الأرض جميعا » .

وهذا القول مخالف مخالفة صريحة لما نص عليه القرآن الكريم فى خلق آدم، وأجمع عليه من يعتد برأيه من مفسرى القرآن الكريم .

ثم يستطرد المؤلف فى هذا الاتجاه قائلا : « ورب سائل يقول : « هل تلك النطفة من أمه فقط كما خلق عيسى سلام الله عليه ، أو أنها نطفة أمشاج من أبوين .. ؟ الاجابة عن هذا السؤال لا تفيدنا فى شئ لأن ما يهمنا هو أن ادم نشأ عن إنسان سابق ، فسواء كان لآدم أم فقط أو له أم وأب فإن ذلك لا يغير من الأمر شيئا ،، ولكن الأرجح وربما من المؤكد أن آدم خلق من أبوين لأن معجزة عيسى فى خلقه من أمه فقط لا تصبح معجزة اذا سبقه من البشر من خلق بنفس طريقته حتى لو كان آدم ، كما أن الانسان عامة قد خلق من نطفة أمشاج كما يقول المولى سبحانه » .

ثم يستدل [1] على أن كل مخلوق لابد له من أب (باستثناء عيسى) ثم من أم تعيش النطفة فى رحمها ، وأن ذلك ينطبق على ادم أيضا بالآية الكريمة

﴿ بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة﴾ (الأنعام ١٠١) ، أى أن القرآن الكريم ربط وجود هذا الولد بالصاحبة وهى الزوجة ، فما دام ليس له صاحبة فليس له ولد .

وهذا استدلال فى غير موضعه لأن القران الكريم يرد بهذا القول على الكفار الذين يدعون أن له ولدا ، فهم يعرفون من طبيعة البشر أنه ما لم توجد صاحبة أى زوجة للرجل لا يوجد له ولد ، هذا فى عرفهم وطبيعتهم ، فكان يتبغى عليهم إن كانت لهم عقول يفكرون بها أنه ما دام ليس لله صاحبة فلا ولد له ، وهذا لا ينفى الحالات الخارقة للنواميس البشرية والدالة على طلاقة قدرة الله تعالى فى إيجاد مخلوق بدون أب وأم كآدم ، أو بدون أم فقط كحواء، أو بدون أب فقط كعيسى ، أو بأب وأم معا كسائر البشر ، وهذه هى الحالة

(١) ص ١٣٨ .

المعروفة التى يحتج القرآن الكريم على من يدعون أن لله ولدابها ، والقرآن الكريم كثيرا ما يخاطب الناس على ما جرى به الخطاب فى عرفهم ، ولذلك وردت فيه أساليب دالة على الشك كإن الشرطية الداخلة على المضارع ، وأساليب دالة على اليقين كإذا الشرطية الداخلة عل الماضى مع أن كل شئ منكشف أمام علمه سبحانه .

وبذلك ترد كل النتائج التى بناها على فهمه السابق لهذه الآية الكريمة وما سبقها من آيات ، كما يرد قوله : « من كل ما تقدم نرى أن آدم وحواء قد خلقا شأنهما شأن سائر البشر أجمعين من انسان يسبقهما فى الوجود » (ص١٣٩) .

هذا وقد رأينا فى إجابته عن التساؤل الذى طرحه حول خلق آدم من أبوين أو من أم فقط أن المسألة لا تعدو أن تكون مجرد خيالات أو تخيلات لا سند لهما من الواقع، ونحن لا نطمئن إلا إلى شئ ورد ما يدل عليه صراحة من مصدر موثوق به كالكتاب والسنة .

وفى إطار إصرار المؤلف على رأيه السابق حول خلق آدم متناسلا من إنسان سابق يقارن بين الآيتين الكريمتين : ﴿ **يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة** ﴾ .﴿ **يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾ (البقرة ٢١) .

فيرى أنه حتى لو كان المراد بالنفس الواحدة فى الاية آدم يكون الناس المنادون هم فقط من ذرية آدم ، وأما الذين من قبلهم فهم الأناسى الذين تناسل منهم آدم، ثم يؤكد ذلك بقوله : (ص ١٤٣) .

« وفى جميع الحالات نرى أن آدم ذرية لآباء سابقين ، يؤكد ذلك ما سبق أن ذكرنا من قوله سبحانه : ﴿ **إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض** ﴾ .

وأعتقد أننا قد هدمنا كل هذه الأسس التى بنى عليها قوله هذا ، ولذلك لا نحتاج إلى إعادة ما قلناه ، سوى أن نقول له هنا : أن آية البقرة لا تخدم وجهتك

بشئ ، لأن المنادين فيها هم أمة محمد ﷺ ، وأما الذين من قبلهم فهم الأمم السابقة عليها ، فلا علاقة للآية الكريمة بما تذهب إليه .

وتبقى آية النساء ﴿ **يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء .**﴾دالة عل خلقنا من آدم وخلق حواء من أحد أضلاعه ، وبث الرجال والنساء منهما معا ، والله أعلم .

هذا ولا يفوتنا قبل أن ننتهى من هذا الفصل أن نورد نموذجا آخر لفهم المؤلف لآيات القرآن الكريم ، وسننقل عبارته حرفيا حتى لا تحتمل التأويل أو التحريف

يعلق الكاتب على آية البقرة السابقة ﴿ **يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ بقوله : (ص ١٤٣) .

« أى أن هؤلاء الناس الذين خلقهم سبحانه وتعالى من نفس واحدة (هى آدم كما تعتقدون) قد خلق ايضا من هم قبلهم ، وهؤلاء الذين قبلهم من المحتمل أن يكونوا أناسا مثلهم ، ومن المحتمل أن يكونوا أناسا آخرين .. إذ يقول سبحانه إن الناس أمثله عدة : ﴿ **ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل** ﴾ (الكهف ٥٤) .

ومن المحتمل أيضا آلا يكونوا ناسا ، وفى ذلك يقول سبحانه : ﴿**ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا** ﴾

لا أدرى كيف يفهم المؤلف أن (مثل) فى الاية الأولى تعنى أمثلة عدة من الناس مع أن معنى الاية معروف ومشهور ، وهو أن الله سبحانه وتعالى ضرب فى القرآن الكريم أمثله كثيرة للناس وليس من الناس لعلهم يعتبرون أو يتعظون كمثل الرجلين فى قوله ة **واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين ..** ﴾ وكمثل الحياة الدنيا فى قوله سبحانه : ﴿ **واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء ..** ﴾ وغير ذلك مما ورد فى سور أخرى ، ثم ما هى العلاقة بين ختام الآية : «وكان الانسان أكثر شئ جدلا» وتفسيره للمثل بأمثلة

من الناس ؟؟ .

هذا فضلا عن أن للمثل عدة استعمالات فى اللغة ، منها : المعنى الغريب الحسن كما فى قوله جل شأنه فى آية أخرى مشابهة : ﴿ **ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا** ﴾[1] أى ولقد صرفنا لهم فى هذا القرآن من كل معنى هو كالمثل فى غرابته وحسنه [2].

وإلى هذا الحد رأينا المؤلف يطوع آيات القرآن الكريم لفكرته المتشبع بها ، مع أن هذا الفهم لا يمت إلى المقصود بصلة بعيدة أو قريبة ، ولم يقل به أحد ، ولا يمكن لأحد أن يقول به ، أما الآية الأخرى ﴿ **ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا** ﴾ فقد سبق أن ذكرنا المدلول الصحيح للفظ أناسى فيها ، فلا محل لاستنتاجه هنا أيضا .

* * *

(١) الإسراء ٨٩ .

(٢) الكشاف للزمخشرى ٢ / ٤٦٥ .

أنا ولوسي وأبناء العمومة القردة :

فى ص ١٥١ أورد المؤلف الآيات : ﴿ **ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون ، والجان خلقناه من قبل من نار السموم، وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين**﴾ (الحجر ٢٦_ ٢٩) وكلامه حولها يدور فى نفس الفلك الذى دار فيه قبل ذلك فى فهم هذه الآيات ، وقد سبق بيان وجه الصواب فيها بما يرد ربطه بين هذه الآيات وبين ما أورده عن الحفريات والعظام المتفتتة والأدوات الحجرية التى سجل عليها تاريخ الانسان أو الحيوان السابق كما يقول .

وفى ص ١٦٦ _ ١٦٧ بعد أن يتعرض لما توصل إليه علماء الحفريات وما يقولون به ، وهو لا يعنينا لعدم ارتباطه بالمفهوم الصحيح للايات التى ذكرها ، يقول : « والآن .. هل يوجد فى كتاب الله العزيز ما يشير إلى صحة ما يقوله رجال العلم والحفريات ؟ .

« فلنستمع ثانية إلى قوله تعالى : ﴿ **وأنزلنا من السماء ماء طهورا ، لنحيى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا ، ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا** ﴾ (الفرقان٤٨_٥٠) .

﴿ **ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شئ جدلا** ﴾ (الكهف ٥٤) .

ثم يعلق على الآيات بقوله : « فأى بيان أوضح من كلام المولى عز وجل ؟ ألا يتضح من سورة الفرقان على لسان العليم الخبير وجود أناسى كثيرة ؟ ألا يتضح من سورة الكهف أن الانسان هو بعض من الناس ، أى أن الناس أمثلة متعددة أحدها هو الانسان ؟ .

والإجابة عن هذا التساؤل : نعم لا يتضح ذلك ، ولا يمكن أن يكون ، لأنك فى واد والآيات الكريمة فى واد آخر ، وما دمت قد بعدت عن المرتكز

الصحيح لفهم لغة القرآن الكريم وأساليبه ونظمه فقل ما تشاء ، وأظن أن القارئ الكريم على بينة كاملة بما ذكرته آنفا حول هذه الآيات ومن اليسير أن يرد هذه النتائج التى ترتكز على غير مرتكز سليم ، ولا حاجة بى إلى إعادة ما قلته حولها

ثم يقول المؤلف بعد ذلك (ص١٦٦) مستمرا في اتجاهه ونتائجه : « كما يجدر بنا ألا نغفل قول الملائكة للمولى سبحانه قبل أن يخلق آدم عليه السلام **﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾** وأن نربط هذا القول بما يشير إليه العلماء من الظواهر التى تدل على أن من أنوا ع الانسان السابق للبشر من كان يصطاد إنسانا ينتمى إليه أو إلى أنوا ع أخرى يسفك دماءهم ويتغذى من جماجمهم وعظامهم على المخ والنخا ع » ويرجح أنه كان يتغذى أيضا على لحومهم رغم أن الحفريات لا يمكن الاستدلال منها على ذلك » .

وأيضا قد ذكرت وجه الصواب فى فهم هذه الآية بما يبعدها عن الارتباط بما يقوله هنا ، وإذا كان لى ما أضيفه إلى ما قلته آنفا فهو أنه لو كان المراد « أن من أنوا ع الانسان السابق للبشر .. الخ » . هذا الانسان القديم الذى تناسل منه آدم لقال القران الكريم على لسان ملائكته .. ،، أتجعل فيها من أفسد فيها وسفك الدماء .. لأن آدم من ذريته ، أى من كان طبعه وسلوكه هكذا ؟؟ .

ولكن التعبير بالمضار ع هنا يدل على أن هذا من شأن الانسان الذى سيجعل خليفة فى الأرض ، وقد علمت الملائكة ذلك على الوجه الذى ذكرته آنفا[1] .

وبعد ما سبق لا يقبل قول المؤلف المبنى على فهمه الخاص للآيات التى عرضها ، وهو : « من كل ما تقدم ألا يتحتم علينا أن نقبل باقتنا ع ما يقوله العلماء ونوافقهم على أن الله سبحانه وتعالى قد خلق اكثر من انسان واحد ، بل خلق اناسى متعددة فى طريق التطور إلى الانسان البشر ، الانسان الآدمى .

« وأخيرا بقى لى أن أتساءل : هل أنا من سلالة لوسى ؟؟ ،، لست متأكدا إذ إن عظام لوسى لا يمكن الاستدلال منها إن كانت قد تزوجت أم ظلت آنسة، غير أن ما يمكننى أن أقطع به أننى وقوم لوسى على صلة وثيقة بأبناء

(١) والافساد فى الأرض وسفك الدماء قد تحققا فى ذرية آدم .

عمومتنا القردة » .

وهذا ما يريد المؤلف أن يصل إليه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .

* * *

في ص ١٧٢ يقول :

« ويجب ألا يغيب عن البال أن التطور قد أخذ ألوف بل ملايين السنين فقد ذكرنا أن الحصان قد أمضى ستين مليونا من الأعوام من نشأته كحيوان في حجم الكلب إلى أن أخذ صورته الحالية ، وأن الانسان قد استغرق مليونا وربما بضعة ملايين من السنين من تطوره من إنسان قردي بدأ يمشي على قدمين ذراعاه أطول من رجليه الى أن أصبح بشرا سويا » .

وقد رددنا هذا الاستنتاج من حيث عدم وجود شئ في القرآن الكريم يدل عليه لعدم استناده إلى أساس لغوي سليم حول ألفاظ (أناسي ـ الناس ـ الانسان ـ البشر) .

وفي ص ١٧٥ ـ ١٧٦ .

ينقل عن عبد الكريم الخطيب قوله [١] حول قوله تعالى : ﴿ **إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين** ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين** ﴾ .

« إن ما ورد في الآية السابقة (الأولى) وأمثالها إن دل على خصوصية لآدم فانه لا ينفي أن يكون ذلك قد كان حين وصل تطور الحياة بالأحياء إلى هذه المرحلة التي بلغ فيها التطور غايته بظهور هذه السلالة الناضجة من ثمرات الحياة، ويكون معنى قوله تعالى : ﴿ **إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي** ﴾ أي إذا بلغ الكتاب أجله بهذا الطين الذي سرت فيه الحياة وتهيأ لقبول النفخة الإلهية ليكون هذا الكائن البشري ، فقعوا له ساجدين .

إذ هو تلقى النفخة من روح الحق جل وعلا .

ثم يقول عن الآية الثانية :

---

(١) في كتابه (قصتا ادم ويوسف).

« ولعل فى قوله تعالى : ﴿ **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين** ﴾ لعل فى هذا ما يشعر بهذا المعنى الذى ذهبنا إليه ، وهو أن الانسان لم يجىء من الطين مباشرة ، وإنما كان ذلك بعد سلسلة من التطورات وبعد عمليات طويلة من التصفية والانتخاب انتهت بظهور الانسان على تلك الصورة التى انفصل بها عن جميع الأحياء ، وكان أهلا لتلقى النفخة الالهية يوم مولده ، وكأنها التاج الذى توج به ملكا على العالم الأرضى كله

وعلى هذا لا نستطيع أن نقبل أقوال المفسرين فى خلق آدم على تلك الصورة المغلقة التى يصورون بها الأسلوب الذى خلق به ، إذ يكاد يجمع المفسرون على أن ميلاد آدم كان على هذا النحو الذى لا مستند له من آيات القرآن الكريم .ا . هـ .

وأظن أننى لست فى حاجة إلى الرد على عبد الكريم الخطيب وعلى المؤلف، لأن هذه الآيات سبق أن تعرضت لها ، ورددت مجانبة الصواب فى فهمها ، وإذا كان لى ما أضيفه هنا فهو : أليس قول الحق تبارك وتعالى ﴿ **وبدأخلق الانسان من طين** ﴾ دالا على بداية الخلق ،ولولم يرد القرآن الكريم ذلك لقال : وخلق الانسان من طين ، فكيف يقول عبد الكريم الخطيب فى عبارته السابقة « إن الانسان لم يجىء من الطين مباشرة » ؟ .

اللهم إلا أن يراد أن مادة خلقه السابقة على النفخ مباشرة لم تكن الطين المعروف ، بل كانت مستخلصة منه ومتحولة عنه لأن المادة الصلصالية السابقة على النفخ متحولة من الحمأ المسنون المتحول عن الطين ، وعلى ذلك فالمراد بالإنسان هو آدم عليه السلام ، وبذا يكون الضمير فى ﴿ جعلناه نطفة ﴾ عائدا إلى غير مذكور يفهم من المقام وهو ابن آدم أو يراد بالانسان فى الاية الكريمة جنس الانسان من ذرية آدم باعتبار خلق أول الأفراد ، وأصل هذا النوع وهو آدم عليه السلام من طين ، فيكون الكل مخلوقا منه خلقا إجماليا فى ضمن خلقه، أو باعتبار أن الطين هو المادة البعيدة لخلقهم ، حيث إن النطف التى خلقوا منها متكونة من الأغذية الناشئة من الطين كالنبات أو الحيوان الذى يرعى النباتات

الناشئة . فيه أيضا [1]

وهذه التوجيهات كلها لا تخدم وجهة نظر المؤلف فى شئ ، أما إذا أريد بالإنسان آدم عليه السلام فى آيتى (المؤمنون) فيكون هو البشر المقصود فى قوله جل شأنه : ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين** ﴾ والقرآن الكريم يفسر بعضه بعضا وكلتا الآيتين تتحدثان عن بعض مراحل خلق الانسان الأول (آدم) ومن تناسل منه وهم ذريته، وقد تعرضت لذلك تفصيلا فيما سبق .

ثم إننى أتساءل : ألا يعنى قول القرآن الكريم فى الآية : ﴿ **إنى خالق بشرا من طين** ﴾ أنه بعد تكوينه من الطين مباشرة وتسويته ونفخ الروح فيه أنه سيصير بشرا سويا منذ البداية لا متطورا من انسان سابق عليه كما ذهب إليه مؤيدو نظرية التطور ؟ وإذا كانت معاجم اللغة التى نزل بها القرآن الكريم تقول[2] إن الدلالة الأصلية للفظ إنسان وبشر واحدة ألا يعنى ذلك أن الإنسان المذكور فى ﴿وبدأ خلق الانسان من طين ﴾ هو نفسه البشر المذكور فى (**إنى خالق بشرا من طين**؟ وهل نفهم القرآن بغير اللغة التى نزل بها حتى يرفض المؤلف أقوال جمهور المفسرين الذين فهموا القرآن الكريم على الوجه الصحيح لأنهم كانوا متمكنين من اللغة التى نزل بها وعلى دراية بأصول النظم وقواعده ؟؟ .

على أن عبارة عبد الكريم الخطيب السابقة ــ للإنصاف والحقيقة ــ لا تخدم وجهة نظر المؤلف قطعا ، إذ ليس فيها ما يدل صراحة على أن ادم متناسل من ذرية سابقة ، وإنما هى تشير إلى أن نفخ الروح فيه لم يكن مباشرة وهو طين، بل بعد تطور معين فى هذا الطين ، هو صيرورته حمأ مسنونا ثم صلصالا مصورا على هيئة إنسان بدون روح ثم نفخ فيه الروح بعد ذلك فصار بشرا سويا كما سبق، وهذا الفهم لا يتعارض مع النصوص القرآنية الواردة فى ذلك .

وهذا لا ينفى بطبيعة الحال أن يكون هناك تطور معين فى الأحياء الأخرى قد وصل إلى مرحلة معينة عند نفخ الروح فى آدم حتى يستطيع هذا المخلوق البشرى أن يستفيد من تطور هذه الأحياء لتحقق خلافته فى الأرض .

---

(١) انظر روح المعانى للألوسى جـ١٨ ص ١٢ . (٢) كما سبق بيانه فى صدر البحث .

وقول عبد الكريم الخطيب فى عبارته السابقة : إن الإنسان لم يجئ من الطين مباشرة ، وإنما كان بعد سلسلة من التطورات بعد عمليات طويلة من التصفية والانتخاب انتهت بظهور الإنسان على تلك الصورة التى انفصل بها عن جميع الأحياء ، لا يبعد عن هذا الفهم ، ولا يعنى ـ بالضرورة ـ قوله «انفصل بها عن جميع الأحياء» تطوره من كائن حى سابق ، لأنه قد يعنى انفصاله فى التطور عما كان عليه فى مراحل خلقه من طين ثم من حمأ مسنون، ثم من صلصال إلى أن صار بشرا سويا بنفخ الروح فيه ، وبذلك وصل إلى أوج نضجه وبشريته قبل أن تصل الأحياء الأخرى إلى ذلك ، أى أنه انفصل وتميز عنها بذلك .

لعل هذا ما يقصده عبد الكريم الخطيب فى هذه العبارة ، وبذلك لا يصح احتجاج المؤلف به ، لأن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال كما هو معروف .

ولكن المشكلة عند المؤلف ومن وافقهم أو وافقوه هى الخلط بين الحديث عن خلق آدم والحديث عن خلق الانسان المتناسل منه فى آيات القرآن الكريم فإذا ما أرادوا أن يتحدثوا عن تطور خلق آدم ـ كما يرون ـ فهموا تعبير القرآن الكريم عن خلق الانسان المتناسل من ذريته وألصقوه بآدم ، كما فى قوله تعالى: ﴿ **ولقد خلقنا الانسان من سلالة ..** ﴾ وأحيانا يصنعون العكس ، فإذا تحدث القرآن الكريم عن بدء خلق الانسان ـ وهو آدم ـ من طين قالوا إن ذلك لا ينطبق على ادم أبي البشرية ، وإنما هو ينطبق على انسان سابق على آدم اتفق مع سائر الحيوانات الأخرى فى خلقها من الطين كما فى قوله تعالى : ﴿ **وبدأ خلق الانسان من طين** ﴾ وكان هذا الانسان فى نظرهم غير مكتمل الصورة الانسانية وتطور منه آدم أبو البشرية بعد ذلك .

هذه النغمة سائدة فى الكتاب الذى بين أيدينا (**خلق الانسان بين العلم والقرآن**) من بدايته إلى نهايته ، وأحيانا تجد من يقول بذلك تلميحا لا تصريحا وإصرارا كما صنع مؤلف الكتاب ، والمشكلة عند هؤلاء جميعا هى الخلط فى فهم آيات القرآن الكريم المتعلقة بخلق آدم وخلق الانسان من ذريته ،

أو تطويع هذه الآيات لمفهومهم الخاص .

وفى ص ١٨١ / ١٨٢ أورد المؤلف الآية التالية :

﴿ هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به .. ﴾

ثم ينقل عن بعض المفسرين أن آدم وحواء أشفقا أن يكون المولود بهيمة ، أو يكون شيئا دون الانسان ، ثم يعقب على ذلك بقوله : « اذا كانت حواء تلد لآدم أطفالا مشوهين ، بل يبدو أن منهم من كان على صورة البهائم إذا صح ما قيل فى ذلك فان تفسيره من الناحية العلمية أن آدم وحواء و هما بداية البشر كانا سلالة قريبة من أسلافهم من الانسان السابق للبشر ، ومن الانسان القرد، ولذلك كانت عوامل الوراثة من صفات غير بشرية لم تتلاش بعد » .

ونقول : إنه لا دليل عندنا على أن آدم وحواء كان يولد لهما أطفال مشوهون أو بهائم ، بل الأقرب أن يقال فى معنى الآية كما ذهب كثير من المفسرين[١] : إن آدم وحواد كانا يخافان ذلك ويخشيانه ، لا لأنه حدث نظير له بالفعل فى ولادتهما ، ولكن لأن هذه كانت أول مرة لهما فى الانجاب ، ولا يدريان إذا كان المولود سيكون بشرا سويا مثلهما ، أو سيكون على شكل آخر ، لأنه ليست لهما تجربة سابقة فى ذلك

هذا إذا فسر الصلاح هنا بالصلاح الحسى فى الخلق والصورة ، مع أن اللفظ يحتمل أن يكون الصلاح صلاحا معنويا ، أى يكون المولود على شاكلة أبيه فى صلاحه ، لأنه من سلالة نبى .

وبعد ذلك أورد المؤلف ـ فى هذا المجال أيضا ـ حديثا للرسول ﷺ نقله عن صاحب الإتقان [٢] وهو :

« أخرج ابن جرير والطبرانى بسند ضعيف من طريق موسى بن على بن رباح عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال له : ما ولد لك ؟ قال : ما عسى أن

(١) انظر ـ على سبيل المثال ـ روح المعانى للألوسى جـ ٩ ص ١٣٨ ـ ١٣٩ .
(٢) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى .

يولد لى ؟ إما غلام أو جارية ، قال فمن يشبه ؟ قال من عسى أن يشبه ؟ إما أباه وإما أمه ، فقال النبى ﷺ : لا تقولن هذا ، إن النطفة إذا استقرت فى الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم ، أما قرأت ﴿ فى أى صورة ما شاء ركبك ﴾ ؟ .

ثم يعقب على الحديث بقوله : ص ١٨٣ .

« ولنا أن نقول بعد ذلك اذا كانت صفات مواليدنا وما يشبهون تمتد إلى آدم كما يقول نبينا الكريم صلوات الله عليه فلا أقل من أن أبناء آدم وحواء كانت صفاتهم تمتد إلى أجدادهم من الإنسان السابق للبشر ومن الانسان القرد ، ولنا أيضا أن نتساءل : (لو كانت التفاسير التى وردت عن قوله تعالى . ﴿ لئن آتيتنا صالحا ﴾ صحيحة إذا كان آدم قد خلق من تراب وحواء خلقت منه بداية للانسان فما معنى ولادتهما أولادا يشبهون البهائم ؟) ا.هـ .

وأقول ليس فى الحديث الشريف ما يصح الاستدلال به على رأيه ، لأن ذريتنا يمكن أن تحمل بعض الصفات الوراثية للآباء السابقين حتى آدم ، ولكن هذه الصفات تنقطع عند الجد الأول وهو آدم ، وليس هناك نص من قرآن أو سنة يدل على أن آدم تناسل من ذرية سابقة عليه ، اللهم إلا فى فهم المؤلف ومن وافقه ، كما أنه لم يثبت ثبوتا صحيحا أنه ولد لآدم وحواء أبناء مشوهون أو كالبهائم ، وانما كانا يخافان ذلك كما ذكرت ، وهذا ما ذكرته كتب التفسير التى يعتد بها ، على أن الصلاح يمكن أن يكون معنويا كما أشرت .

وفى ص ١٨٣ يقول : « إذا كان الانسان القردى لكى يتحول إلى إنسان بشر قد قضى مئات الألوف من السنين ، فهل كانت المحصلة فردين اثنين آدم وحواد ؟ الإجابة من الناحية العلمية ربما .. ولكن من الناحية المنطقية فى رأيى على الأقل لا .. فماذا قال القرآن الكريم ؟ ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين** ﴾ (الحجر ٢٨) .

﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس .. ﴾ (الكهف ٥٠ ، طه ١١٦) .

﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ (آل عمران ٣٣) .

ثم يعقب على تلك الآيات بقوله (ص ١٨٤) .

« من ذلك نرى أنه سبحانه يقول للملائكة فى سورة الحجر إنه خالق بشرا من صلصال وكلمة بشر تحتمل الجمع ، وقوله سبحانه : قعوا له ساجدين لا يقصد به السجود الفعلى كما يقول بعض الفسرين ، بل يقصد به أن منزلة البشر أعلى من منزلة الملائكة .

« أما قوله سبحانه للملائكة اسجدوا لآدم فلأن آدم من البشر ، بل أكثر من ذلك أن الله تعالى قد اصطفاه ليس على البشر فقط بل على العالمين » .

« من كل ذلك نرى الاحتمال بأن آدم ما هو إلا أحد البشر وإن كان الله قد اصطفى آدم منهم لكى يورثه هو وأبناءه من حواء الأرض وما عليها » أ . هـ

ونحن نقول : إننا سبق أن قلنا إن لفظ البشر هنا لا يحتمل إلا الإفراد ، لأن الملائكة لم تؤمر بالسجود لمجموعة من البشر [1] ، وبهذا يسقط استنتاجه بأن آدم ما هو إلا أحد البشر ، وإنما الصحيح أنه أب للبشر ، فلابد من مراعاة النظم فى الفهم .

أما ما يتعلق بالسجود فنقول له : إن قول بعض المفسرين إن السجود حقيقى هو الصحيح لأن السجود مراد به معناه المعروف فى اللغة وليس هناك ضرورة تدعو لصرف اللفظ عن معناه اللغوى ، وأما كون البشر أعلى منزلة من الملائكة فهو ـ إن صح ـ يفهم من دلالة متولدة من الدلالة الحقيقية للسجود ، أى يوحى به السجود ولا يدل عليه دلالة أصلية ، لأن للسجود معنى معروفا فى الشرع ولا داعى لصرف الألفاظ عند دلالتها الشرعية إلا لضرورة والضرورة هنا غير متوفرة إلا عند المؤلف فقط .

---

(١) هذا فضلا عن إفراد الضمير فى (له) فى الآية الكريمة الذى يعنى الإفراد فى (بشر) .

ولعل فى قوله سبحانه : ﴿ فقعوا له ساجدين ﴾ دلالة على أن المراد السجود الحقيقى الذى يستتبعه فضل آدم على الملائكة ولذلك امتنع إبليس اللعين عن السجود ولا يتأتى ذلك إلا إذا كان السجود بمعناه المعروف .

ومرة أخرى يورد المؤلف الآية القرآنية الكريمة (ص ١٨٥) ﴿ إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ﴾ (ابراهيم ١٩) للتدليل على امكان تطور الناس أو البشر الحاليين فى الخلقة إلى صورة أخرى ، وقد سبق أن ذكرنا ما يتعلق بها فلا حاجة إلى إعادته ، وإنما ذكرت الآية مرة أخرى وكررت نفس الآيات التى كررها المؤلف لنرى مدى إصراره على نتائجه وتأكيدها بين الحين والحين ، مع أن كل النتائج التى توصل إليها بنيت أصلا على أساس غير سليم، وقد وضحته فى بداية البحث ، ومن يقرأه جيدا فسيرى أن كل النتائج التى يرددها المؤلف فى ثنايا الكتاب ويربطها بالقرآن الكريم لا نصيب لها من الصواب، وإن كانت هى فى ذاتها قد يحتمل بعضها الصواب والخطأ ، أما ربطها واستنباطها من آيات القرآن الكريم فهذا هو العارى عن الصواب .

وفى ص ١٨٧ ــ ١٨٨ يقول :

« إن المعجزة فى خلق آدم ليست فى خلقه من طين وتركه أربعين سنة قبل أن يصوره الحق سبحانه كما يقولون ، ولا فى خلقه بدون أبوين كما يعتقد البعض أو كما يحلوله أن يردد .. بل إن المعجزة هى كما جاءت على لسان الرسول الكريم فى خلقه من قبضة من جميع الأرض ، يقول صوات الله وسلامه عليه :(١)

« إن الله عز وجل قد خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، جعل منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك ، والسهل والحزن وبين ذلك ، والخبيث والطيب وبين ذلك » .

---

(١) عنى أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ (مسند الامام احمد بن حنبل مجلد ٤ ص ٤٠٦ وبنفس المعنى وتغيير فى بضع كلمات ص ٤٠٠ وفى سنن الترمذى الجزء الخامس كتاب تفسير القرآن حديث رقم ٢٦٥٥).

« إن ما قاله النبى الكريم يعنى أن آدم قد خلق ليس فقط من جماد الأرض بل أيضا من أحيائها ، من جمادها بما يشمله من تراب وماء ، تراب قد كون ولا زال يكون الجبال والوديان والصحارى ، وماء كون وما يزال يكون الأنهار والبحيرات والبحور فمواد تركيبها جميعا هى نفس اللبنات التى ركب منها جسم آدم هى الفخار وهى الصلصال الذى خلق منه ".

« أما خلقه عليه الصلاة والسلام من أحياء الأرض جميعا علاوة على جمادها فدليله قوله الرسول (من جميع الأرض) وليس من جميع تراب الأرض » أ . هـ .

ونقوله له : إن الرسول عليه الصلاة والسلام عندما قال من جميع الأرض فإنما يعنى ذلك تراب الأرض ، والذى يوضح ذلك هو ما ورد فى القرآن الكريم عن خلق آدم من تراب ، كما أن التنكير فى (تراب) يوحى بأنه خلق من جنس تراب الأرض جميعه ، والقرآن والسنة متكاملان ، ثم إن لفظ قبضة فى الحديث يوحى بأنها قبضة من الجماد لا من الأحياء ، وكلمة(جميع) فى الحديث الشريف تدل على أن خلق ادم احتوى على كل عناصر هذا التراب وكانت متمثلة فيه ، ولذلك احتوى خلقه على جميع عناصر تراب الأرض ، لأن حياته ستكون منها وخلافته ستكون فيها ، فاستدلال المؤلوف بالحديث فى غير موضعه ، بل هو يؤيد وجهة النظر المقابلة لوجهته ، ولذلك لا محل لقوله بعد ذلك (ص ١٨٨) .

« وهنا تبدو معجزة الخالق الذى خلق آدم اخر المخلوقات متطورا عنها جميعها» .

ويبدو من كلام المؤلف أن المعجزة التى جاءت على لسان الرسول الكريم فى خلق آدم هى المعجزة الحقيقية فى رأيه هو لا ما فهمه المفسرون من حلقه من تراب بدون أبوين مع أن الحديث الشريف يسير فى نفس اتجاه القرآن الكريم الذى ينص على أن آدم مخلوق من التراب بدون أبوين (١)

(١) روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (الناس كلهم بنو آدم وآدم من تراب) فكيف يكون آدم متناسلا من الناس ـ على رأيه ـ وهم جميعا أبناؤه كما هو صريح الحديث الشريف ؟ وقد سبق ذكر ذلك .

ثم يختتم هذا الفصل بقوله : (ص ١٨٨) .

« وأخيرا فإنى أختتم هذه الكلمة بأن أقول لمن يطلب من العلماء أن يحيلوا القرد إنسانا أو الإنسان قردا أو البرغوث فيلا .

﴿ قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ﴾ .

وهذا الختام بهذه الآية يوحي بأنه يرد على من يطلب من العلماء كالشيخ الشعراوى فى حديثه الذى نقله عنه ــ أن يحيلوا القرد انسانا أو الانسان قردا ..

أقول : إن القول يوحي باحتمال حدوث ذلك من وجهة نظر المؤلف مع أن هذا لن يحدث أبدا ، لأن الله سبحانه حفظ أمة محمد ﷺ من المسخ أو الخسف ، ووعده بذلك ، لأن شريعته هى آخر الشرائع السماوية ، ولكن المؤلف يقول ذلك ، لأنه لا يستعبد إمكان هذا التطور مرة أخرى ، ولذلك أورد الآيتين الكريمتين :

﴿ إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين ﴾ .

﴿ إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ..﴾ .

وقد رددنا هذا الاحتمال فيما سبق ، وبينا الاتجاه الصحيح للآيتين ، والله وحده الموفق للصواب.

بين الخلق والتطور

أورد المؤلف فى ص ١٩٢ قوله :

« أما فى تاريخ الانسان القديم فقد كان بعض أنواعه يقتنص غيره ويقوم بالتهام بعض أجزائه ، وصدق أصدق القائلين :

﴿ وإذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ (البقرة ٣٠) .

وقد علمنا ـ فيما سبق ـ أنه لا علاقة لهذه الآية بهذا الانسان الذى يقصده، وأن الملائكة عرفت صفات هذا الانسان الذى سيكون خليفة من عدة وجوه كما سبق ، وأنه لو كان مقصود الآية هذا الانسان المتحدث عنه لكان المناسب للنظم : « أتجعل فيها من أفسد فيها وسفك الدماء ... » لأنه سيكون من ذريته.

ومرة أخرى يورد الآيات القرآنية : **﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾** (المؤمنون ١٢ ـ ١٤)

كما يورد قوله جل شأنه : **﴿ يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق .. ﴾** (الزمر ٦) .

ثم يعقب بقوله : (ص ١٩٢ ـ ١٩٣) .

« فإذا كانت أطوار الجنين تبدأ بالنطفة ثم بالعلقة ثم بالمضغة فإننا نرى من قول العليم الخبير انه يخلق النطفة علقة ويخلق العلقة مضغة ويخلق المضغة عظاما ، أى أن الخلق هو التطور والتطور هو خلق جديد كما يؤكد سبحانه أيضا أن هذا الخلق الجديد لابد أن يحدث من كائن حى ، فالنطفة لم تمت ليخلق الله بدلا عنها العلقة ، وتلك لم تمت ليخلق بدلا منها المضغة ، بل خلق كل كائن منها من الآخر ، فلكل كائن منها أب نشأ منه .

« هذا ما يحدث فى الجنين عند خلق الكائن الفرد ،فماذايحدث فى النوع

يقول العليم الخبير : ﴿ **وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع** ﴾ (الأنعام ٩٨) .

﴿ **وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها** ﴾ (هود ٦) .

« إن معنى هاتين الآيتين أن لكل كائن مستقرا ومستودعا ينشأ منهما مستقرا فى الصلب ﴿ ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ﴾ [1] ومستودعا فى الرحم، صلب أبيه ورحم أمه ، ويمثل كل كائن فرد النوع الذى يتبعه ، وبالتالى فلكل نوع من الأنواع مستقر ومستودع ، وذلك هو جيل الآباء الذى ينتج عنه جيل الأبناء ، وهذا الآخير سيصبح مستقرا ومستودعا للجيل الذى يليه وهكذا »

﴿ **أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده** ﴾ (العنكبوت ١٩) أ . هـ .

المؤلف فى هذه العبارة يحاول قياس التطور الذى يقول به معتنقو نظرية دارون على تطور الجنيين فى بطن أمه ، فكل مرحلة للجنين فى تطوره ناشئة من مرحلة سابقة فيها حياة ، ومعنى ذلك أن تطور خلق الحيوانات والانسان ايضا نشأ فى كل مرحلة عن مرحلة سابقة كانت فيها حياة ، والذى يريد أن يصل اليه آدن آدم نشأ من كائن حى سابق عليه هو إنسان فى مرحلة سابقة .

إن هذا القول ببساطة معناه عدم الاعتراف بالمعجزة فى خلق آدم وأنه ليس هناك ما يخرق التطور العادى فى الخلق ، وأن آدم خلق كغيره متطورا من انسان سابق ، مع أن هذا مخالف كل المخالفة لقوله تعالى : ﴿**وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة قليلا ما تشكرون** ﴾ (٧ ـ ٩ السجدة) .

لأن هذه الآيات تتحدث عن خلق آدم وتناسل ذريته منه ، فقوله تعالى :

---

(١) القرار المكين ليس هو الصلب كما قد يفهم من عبارته ، وإنما هو المستودع الذى تستقر فيه النطفة .

﴿وبدأخلق الانسان من طين﴾ ينطبق على آدم وحده من بين الانسان وقوله بعد ذلك ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ينطبق على الذرية المتناسلة منه ، وهذه الذرية التى تناسلت منه نشأت نشأة طبيعية وخلقت خلقا طبيعيا حسب نواميس الخلق ، فكل مخلوق متناسل من مخلوق آخر حى سابق عليه الى أن تصل هذه السلسلة الى آدم عليه السلام ، أما أدم فلم يخلق بهذه النواميس الطبيعية ، وانما خلق من الطين أو من التراب بكن فيكون ، وصدق الله العظيم : **﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾** .

وبذلك يكون الحق تبارك وتعالى قد جمع فى الآيات السابقة : **﴿ الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ... الخ ﴾** بين الخلق عن طريق خرق النواميس الطبيعية أو الخلق بكن فيكون ، والخلق عن طريق التناسل والتوالد بالنطفة والعلقة .. الخ ، وفى كل منهما دلالة على قدرة الخالق سبحانه وتعالى ، وعلى فضله ونعمته على خلقه جميعا من لدن آدم حتى اليوم والى أن تقوم الساعة ، فقد أحسن سبحانه فى الخلق من التراب ، وفى الخلق بالتناسل ﴿ الذى أحسن كل شئ خلقه ... ﴾ ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ .

وأما استدلاله على ما يقول به بالآيتين الكريمتين :

﴿ وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ﴾.

﴿ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها ﴾[1] .

فليس فيهما ما يؤيد وجهة نظره ، اذ إنه لا ينطبق على ادم [2] ، لأنه لم يخلق الخلق الطبيعى عن طريق هذا المستقر والمستودع ، بل عن طريق المعجزة الخارقة للعادة ، أو عن طريق كن فيكون كما ذكرت .

وينبغى ألا يغيب عن البال دقة النظم القرآنى فى التعبير بالمستقر والمستودع ، لأن كون البشر أو الدواب فى الأصلاب أو فوق الأرض يناسبه التعبير

---

(١) هود ٦١ .

(٢) إلا فى إنشاء البشر منه ، فهو المراد بالنفس الواحدة .

بالمستقر ، وأما كونهم فى الأرحام ، أو تحت الأرض فيناسبه التعبير بالمستودع ، لأنهم كالوديعة غير المستقرة فى هذين المكانين ، والمستقر والمستودع كانا لذريته من بعده فى الآباء والامهات ، أما هو فكان مستقرا لذريته كما كانت حواء مستودعا لها .

والمؤلف بعد ذلك وفى صفحات (١٩٣ ـ ١٩٧) يجهد نفسه فى الحديث عن تطور خلق الحيوانات فى سلسلة متلاحقة ، كما يتحدث عن قرب الشبه و بعده بين أفراد هذه السلسلة ، ويقيس تطور خلق الانسان على ذلك ، كما يجعل تطور خلق الجنين فى رحم أمه أصلا يقاس عليه تطور خلق الانسان والحيوان فى الشكل والمظهر ، وأن كل مخلوق لابد أن ينشأ من كائن حى سابق عليه يكون السابق دائما أكثر بساطة فى خلقه ، واللاحق أكثر تطورا وتعقيدا منه ، لأنه عنه تطور ونشأ .. إلى آخر ما قال فى ذلك .

ونحن نقول له : حتى مع التسليم بذلك فإنه لا ينطبق على خلق آدم أبى البشر ، لأنك اذا جعلت كل شئ طبيعيا فى الخلق فقد وقعت فى محظور عظيم هو مخالفتك للنصوص الصريحة من القرآن الكريم والسنة النبوية فى خلق ادم ، وبالتالى لم تتقبل المعجزة بالمعنى الصحيح فى الخلق بغير الطريق الطبيعى ، مع أنك اضطررت للقول بها فى خلق عيسى للطير من الطين بإذن الله تعالى كما سيأتى ، وفى حديث مريم للانسى مع أنه ليس بشرا سويا على رأيك كما سبق، وستضطر للقول بها أيضا فى إراءة الله لابراهيم عليه السلام كيف يحيى الموتى كما سيأتى .

وفى (ص ١٩٧ ـ ١٩٨)

يفترض اعتراضا عليه مؤداه : أنه لو كانت الحياة سلسلة متصلة لا تنقطع ، وأن الله يخلق أحياء من أحياء ، ولا يخلق أحياء من أموات فبماذا يفسر قوله تعالى : ﴿ **ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى** ﴾ (يونس ٣١) .

والذى يعنيه بالآية هو إخراج الحى من الميت ، ويجيب عن ذلك بأن إخراج الحى من الميت لا يعنى بالضرورة الخلق ، وحتى لو كان يعنى الخلق فان

ذلك يتحقق فى النبات فقط دون الحيوان ، اذ يخرج النبت الصغير من بذرة وضعت فى الأرض ..... ثم يؤكد وجهة نظره القائلة بأن الأحياء يتسلسلون من أحياء لا أموات وللرد على الاعتراض السابق بأن الحى قد يطلق عليه لفظ الميت ، ويستشهد بالاية الكريمة ، :﴿ **إنك ميت وانهم ميتون** ﴾ (الزمر٣٠)

ونقف مع المؤلف هنا وقفة نناقشه فى جوانب هذه الإجابة :

أولا : اذا كان اخراج الحى من الميت لا يعنى الخلق فماذا يعنى ؟وهل يمكن ألا ينطبق ذلك إلا على النبات فقط ؟ مع أن الاية اصلا مسوقة لتقرير المشركين بقدرة الله تعالى على البعث وفضله على أهل الأرض جميعا وهم المذكورون فى قوله تعالى : ﴿ **ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون ، فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين ، هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون ، قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ، فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون ، كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون** ﴾ (يونس ٢٨ـ ٣٣) .

فالمناسب أن يكون اخراج الحى من الميت عاما فى النبات والحيوان ، وقد ذكرتَ وجهة ذلك فى النبات ، ولم تذكره فى الحيوان لأنه يصطدم مع ما ذكرتَه من أن التناسل لا يكون إلا من حى ، ولكنا نقول : دعك من هذا فى هذه الاية وما شابهها من الخلق بغير طريق التناسل ، فخلق الحى من الميت قد يتمثل فى خلق الحيوان من النطفة ، إذ النطفة ليست فيها الحياة المعروفة المعهودة خارج الرحم ، فهى فى حكم العدم [1] وكذلك العكس ، فالله يخرج الميت من الحى بإخراج تلك النطفة من الحيوان .

---

(١)وهى كبذرة النبات التى مثلت بها تماما.

ثانيا : أما الاستشهاد بالآية الكريمة : **﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾** والذى يعنى أن الميت قد يطلق على الحى فهو بعيد كل البعد ، لأن الآية ﴿يخرج الحى من الميت ﴾ مسوقة لبيان قدرة الله تعالى ، فكما ينشئ الحى من الحى ينشئ الميت من الحى على الوجه المذكور وبطلاقه القدرة كما فى خلق آدم .

ولكن الآية الآخرى **﴿ إنك ميت وانهم ميتون ﴾** تعنى شيئا آخر هو أن الحى قد يطلق عليه ميت باعتبار مآله وما سيكون عليه كما يقول البلاغيون ، لأنه لابد أن يموت ، وحتى لا يغتر الانسان بهذه الحياة التى يعيشها ويظن أنه مخلد فيها فينسى الموت ، فهى على حد : ﴿ إنى أرانى أعصر خمرا ... ﴾ إذ الخمر لا يعصر وانما يعصر العنب الذى يصير خمرا فيما بعد .

وذكر الرسول ﷺ فى الآية للدلالة على أنه مساولهم فى تحقق موته ، وليست له خصوصية فى ذلك ، وان كان لا يلهو فى الدنيا ، ولا يغفل عن الموت كغيره .

ثم يجيب المؤلف عن اعتراض آخر حول خلق عيسى الطير من الطين بإذن الله (ص ١٩٨) وذلك كما ورد فى الآية الكريمة : **﴿ قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله .... ﴾** (ال عمران ٤٩) .

يجيب المؤلف عن ذلك بأنه « يتكلم عن قواعد عامة ، ولا يصح أن نقيس القواعد العامة بمقياس الشواذ أو المعجزات ، ان الله ـ [redacted] كما سبق أن ذكرنا ـ خلق الكون بأحيائه بقواعد عامة وضعها بنفسه ، اذ يقول : **﴿ أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير ، قل سيروا فى الأرض فانظر كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرى إن الله على كل شئ قدير ﴾** (العنكبوت ١٩ ـ ٢٠) .

ونحن نقول : إنك تعترف بأن ما بدر من عيسى عليه السلام كان معجزة ، فلماذا لا تعترف بالمعجزة أيضا فى خلق ادم أبى البشر من تراب أو من طين ، وتجعله كغيره من المخلوقات مخلوقا طبعيا بالتناسل من نطفة إنسان سابق عليه ؟؟

ألأن ذلك يصطدم مع نظرية دارون والمروجين لها وهى لا تنطبق على ما بدر من عيسى من معجزة فى الخلق ؟ انك تعترف بالمعجزة فى الخلق حين لا تجد للتأويل سبيلا ، فان وجدته ـ ولو كان غير صحيح ـ فلا معجزة حتى ولو كانت الدلالة عليها صريحة .

وأظن أن قولك هنا فى الرد على هذا الاعتراض هو ما يمكن أن تقوله ايضا فى إخراج أو خلق الحى من الميت بطريقة عملية سريعة عن غير طريق التناسل من أحياء والتى ذكرها القرآن الكريم فى حوار ابراهيم مع ربه ... ﴿ **واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم** ﴾ (البقرة ٢٦٠) .

أليس إتيان الطير سعيا بعد موته بتقطيعه الى أجزاء هو خلق للحى من الميت؟ فلماذا تنكر خلق آدم من تراب وهو خلق حى من ميت ايضا وتجعله خلقا طبيعيا حتى يتمشى ذلك مع نظرية دارون ، ولا يتمشى مع قدرة الله تعالى التى تخرق النواميس الطبيعية فى الخلق ؟ هل هناك فرق من حيث الموت والحياة بين أجزاء الطير المقطعة ، أو الطين الذى خلق منه عيسى الطير والطين أو التراب الذى خلق منه آدم ؟ .

ثم أن الآيات التى ذكرها واستنبط منها القواعد العامة للخلق وهى : **أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ...** فى واد آخر غير الوادى الذى يذهب إليه، إذ هى تتحدث عن قدرة الله تعالى فى بدء الخلق من العدم ، ثم إعادته مرة أخرى فى البعث فالذى أوجد من العدم قادر على أن يعيد بعد الموت مرة أخرى ، بل إن الاعادة فى حكم العقل أيسر من البداية ﴿ **وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ (1) . والآية الأخرى من الآيتين السابقتين ﴿ **قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ....** ﴾ تدعونا الى السير فى الأرض والنظر فى كيفية بدء الخلق ، حيث خلق الله آدم أبا البشرية ابتداء

---

(1) الروم ٢٧ .

من هذه الأرض التي نسير عليها وفيها ، فأوجده من العدم ثم تناسلت منه ذريته على مراحل متتابعة ، وطبائع متغيرة ، وأخلاق شتى ، واختلاف فى الألسنة والألوان ، وترتيب النظر على السير فى الأرض يوحى بتتبع أحوال وأصناف هؤلاء الخلق ، وكيف تفرعوا من أبيهم الذى خلق من تراب هذه الأرض ، وكيف اختلفوا شكلا ولونا وطباعا ... الخ ، مع أنهم يرجعون الى أصل واحد ، وادراك هذا كله لا يتم إلا بالسير فى الأرض ، والنظر فى الخلق منها ، وما استتبع ذلك من أحوال المخلوقين ، والتعبير بالحرف (فى) فى الآية (سيروا فى الأرض) يوحى بأن ذلك كله لا يتحقق الا بعمق النظر ، وتمكن السير من الأرض والبحث فيها والتأمل ، ولا يتحقق بمجرد السير السطحى عليها.

هذا والقرآن الكريم يعبر عن البعث يوم القيامة بالنشأة الآخرة للايحاء بأن هذه النشأة هى كالأولى تماما ، فهى إيجاد من عدم ، والذى استطاع الأولى يستطيع الثانية ، والآيتان مسوقتان أصلا للتدليل لمنكرى البعث والمكذبين به على قدرة الله تعالى عليه ، فمن أين كانت الدلالة على قواعد الخلق التى يذهب إليها المؤلف ؟ .

أنا ...... من ظهر أمي

فى ص ٢٢٥ يقول : (يا نساء العالمين إنى أقف إلى جواركن فى قضية خلقكن وفى نشأتكن ونشأة أبنائكن ، فأمكن حواء لم تخلق من ضلع آدم كما يقول القائلون ، بل خلقت كما خلق آدم من إنسان سابق بالطريقة المعروفة التى خلقت بها مخلوقات الله جميعها يوم بدأ التكاثر بالذكر والأنثى)أ.هـ .

هذا قول مجاف للحقيقة ، وقد رددنا عليه فيما يتعلق بالآية الكريمة ﴿ **يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء**﴾ حيث وضحنا المفهوم الصحيح والعطاء السليم لهذه الآية وما شابهها .

كما أن ما ينادى به يتعارض ايضا مع صريح قول الرسول ﷺ فقد جاء فى

صحيح البخارى أصح الكتب بعد كتاب الله : (حدثنا أبو كريب وموسى بن حزام قالا : حدثنا حسين بن على عن زائدة عن ميسرة عن الأشجعى عن أبى حازم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « استوصوا بالنساء خيرا ، فان المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج شئ فى الضلع أعلاه ، فان ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء [1]) . والمعروف أنه لا اجتهاد مع النص ، كما أن هذا الحديث يؤيد ما ذكره المفسرون فى قوله تعالى : ﴿ وخلق منها زوجها ﴾ ويعضد ما قلناه سابقا بشأن هذه الآية وغيرها من الآيات التى تتحدث عن خلقنا جميعا من نفس واحدة هى آدم ، وخلق زوجها (حواء) منه ، وليس بعد قول الله وقول الرسول قول

أما عن وجه دلالة خلق حواء من آدم على قدرة الله سبحانه مع أنه كان قادرا على خلقها من تراب كما خلقه هو ، والرد على من ادعى ذلك بأن خلقها منه يدخل فى إطار خلق الناس بعضهم من بعض وإن كان خلقها على وجه أبلغ فى الإعجاز فيقول الألوسى : « إن فائدة ذلك (خلقها من آدم) سوى الحكمة التى خفيت عنا إظهار أنه سبحانه قادر على أن يخلق حيا من حى لا على سبيل التوالد كما أنه قادر على أن يخلق حيا من جماد كذلك ، ولو كانت القدرة على الخلق من التراب مانعة عن الخلق من غيره لعدم الفائدة لخلق الجميع من التراب بلا واسطة لأنه سبحانه ـ كما أنه قادر على خلق ادم من التراب ـ هو قادر على خلق سائر أفراد الإنسان منه أيضا ، فما هو جوابكم عن خلق الناس بعضهم من بعض مع القدرة على خلقهم كخلق آدم عليه السلام فهو جوابنا عن خلق حواء من آدم مع القدرة على خلقها من تراب [2] .

كما أنه لا محل لاستشهاد المؤلف هنا على رأيه هذا بالآية الكريمة : ﴿ **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ....** ﴾ (الأعراف ١٧٢) .

بقوله : (ص ٢٢٥) « فانظر إلى دقة الأداء فى كتاب الله العزيز الذى يقول

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى للحافظ بن حجر العسقلانى جـ ٦ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ، لبنان .

(٢) روح المعانى ٤ / ١٨٢ .

(من بنى آدم) الذين يشملون الذكور والإناث على حد سواء » أ . هـ

لأن كلمة (بنى) أصلها (بنين) وحذفت النون للاضافة ، والبنون تطلق على الذكور فقط ، والذى يشمل الذكور والاناث فى الاطلاق هو الأولاد ، والمفرد يطلق على الذكر والأنثى ، واليك الدليل :

ورد فى المصباح المنير (مادة بنو) : الابن : أصله بنو بفتحتين ، لأنه يجمع على بنين وهو جمع سلامة وجمع السلامة لا تغيير فيه ، وجمع القلة أبناء ،،، ثم قال : ومؤنثة الابن ابنة على لفظه ، وفى لغة بنت والجمع بنات .

كما ورد فى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم فى المادة نفسها :

الابن : الولد الذكر ، وجمعه بنون وأبناء ، وفى مادة (ولد) يقول : الولد : المولود وهو فَعَل فى معنى مفعول ، ويطلق على الذكر والأنثى ، والواحد وغيره ويجمع الولد على الأولاد .

ومما يؤكد أنه لا دخل لحواء فى أخذ العهد على الذرية من آدم ومن بنيه من بعده ما ورد فى الحديث الشريف ، فقد أخرج أحمد والنسائى وابن جرير وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقى فى الأسماء والصفات عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : « إنالله تعالى أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمان يوم عرفة ، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنشرها بين يديه كالذر ، ثم كلمهم قبلا : ألست بربكم « قالوا بلى شهدنا » .

كما أخرج مالك فى الموطأ وأحمد وعبد بن حميد والبخارى فى التاريخ وأبو داود والترمذى وحسنه والنسائى وابن جرير وخلق كثير عن مسلم بن يسار الجهنى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سئل عن هذه الآية ،، فقال : سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال : إن الله تعالى خلق ادم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للجنة ، وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون ،،، الحديث [1]

(١) انظر الحديثين والتعقيب عليهما فى روح المعانى للألوسى جـ ٩ ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .

وفى هذا كله دلالة على أن بنى آدم المذكورين فى الآية الكريمة هم الذكور لا الإناث بدليل استخرج الذرية من ظهر آدم ومن صلبه ولا دخل لحواء فى ذلك ، وكذلك الحال فى استخراج ذرية بنيه من بعده ، فلا مدخلية للنساء فيها، وما ذهب إليه المؤلف هنا مناقض للاستعمال اللغوى لنص الآية الكريمة والحديثين الشريفين .

ويعضد ذلك أيضا استعمال (بنى) فى قوله تعالى ﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو أباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهم أو إخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن ..** ﴾(النور ٣١)

فلو كانت كلمة (بنى) شاملة للذكور والاناث فما قيمة جواز اظهار الزينة أمام الإناث ؟ فكلمة (بنى) خاصة بالذكور فقط وأصلها أيضا (بنين) فحذفت النون للاضافة .

وأما قوله تعالى : (أو نسائهن) فالمراد نساء المسلمين ، حيث لا يجوز إظهار الزينة أمام نساء الكفار[٢] ، وحتى لو قيل إن كلمة (بنى) فى قوله جل شأنه: ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم. ﴾ شاملة للجنس عامة من أبناء آدم ذكورا وإناثا ، وبذلك يكون المولود من ظهر أبيه وأمه معا كما ذهب المؤلف فان ذلك لا ينطبق على حواء ، لأنها لم تخلق من ذكر وأنثى، وإنماخلقت من آدم فقط ، فلا يجوز ربط الانجاب من الذكر والأنثى بخلق حواء ، ولا صحة لقول المؤلف فى عبارته السابقة : « فأمكن حواء لم تخلق من ضلع آدم » لأنه مخالف للكتاب والسنة ، ولأن خلقنا من نفس واحدة كما هو نص الآية الكريمة ﴿ **خلقكم من نفس واحدة** ﴾ لا يتحقق إلا إذا كانت حواء مخلوقة من آدم ، وبذلك يصيرا لكل مخلوقا من نفس واحدة ، أما لو جعلت حواء مخلوقة من انسان سابق عليها على نحو ما خلق آدم أيضا كما ذهب المؤلف فى عبارته السابقة فإن خلق الذرية منها لا يكون خلقـــا من نفــس واحـدة ، بل من نفسين ، وهذا

---

(١)على رأى بعض الفقهاء .

مناقض لصريح الآية أيضا على هذا الوجه .

أنا ... وكبريائي

يقول المؤلف (ص ٢٣٩) :

أما قوله سبحانه : ﴿ **لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم** ﴾ (التين٤) فدعونا نتمعن سويا فى ذلك القول وفيما يعنيه .

ثم ينقل بعض أقوال المفسرين حول هذه الآية ، ومنها قول الطبرى : « قال بعضهم : معناه أعدل خلق وأحسن صورة ، وقال آخرون : قيل ذلك لأنه ليس شئ من الحيوان إلاّ وهو منكب على وجهه الا الانسان » . ثم يعقب على الأقوال التي ذكرها بقوله : (ص ٢٤٠)

« أولى الأقوال بالصواب أن يقال إن معنى ذلك : لقد خلقنا الانسان فى أحسن صورة وأعدلها ، لأن قوله ﴿ أحسن تقويم ﴾ إنما هو نعت لمحذوف هو تقويم أحسن تقويم .

ثم يقول « وبعد أن استمعنا الى هؤلاء المفسرين بأن الله سبحانه وتعالى حين خلق الانسان قد خلقه فى أحسن تعديله ألا يعنى ذلك أن خلق الانسان كان تعديلا من العلى القدير لمخلوقات تسبقه .. وإذا ما جاء فى الطبرى أن كل شئ قد خلقه الله منكبا على وجهه إلا الانسان وأن هذا الانسان قد خلقه الله فى أحسن تعديل ... أفلا يتفق ذلك مع ما يقوله رجال العلوم بأن الانسان قد جاء تطويرا لمخلوقات سابقة . بل وأكثر من ذلك ما جاء فى الطبرى أيضا فى تعديل أحسن تعديل . أى أن هناك سلسلة من التعديلات أحسنها الانسان ، فماذا يقول رجال العلوم فى ذلك ايضا ... ؟.

« إنهم يقولون إن الانسان آخر الرئيسيات فى ذوات الأثداء التى تشمل النسانيس والقردة والقردة العليا ، فإذا نظرنا الى النسانيس والقردة نجد أنها جميعا منكبة تماما على وجهها ، وفى ذلك تتساوى يداها فى الطول مع رجليها ، أما القردة العليا (وهى من الأناسى) فنجد أنها قد بدأت تنتصب فى قامتها ، ولذلك نرى أن يديها أطول كثيرا من رجليها مما يجعلها أقل انكبابا على وجهها ،

ويأتى الانسان البشر فى آخر المطاف بيدين أقصر من الرجلين ، وبانتصاب تام فى قامته متطورا عن أنوا ع أخرى تسبقه من الانسان قامتها أقل انتصابا .

« الآن وبعد أن تأكد للعلماء أن ما عثر عليه من حفريات للانسان السابق للبشر توضح أن اعتدال قامته كان يحدث على فترات.. أفلا يتفق ذلك مع ما جاء في الطبرى بأن الانسان قد خلق بتعديل أحسن تعديل ، ألا يقول الخالق جل شأنه أيضا : ﴿ **ما لكم لا ترجون لله وقارا . وقد خلقكم أطوارا** ﴾ (نوح ١٣ ـ ١٤)ويتابع حديث بقوله : « ان ما يقوله المفسرون بأن تلك الأطوار هى أطوار الجنين فى داخل الرحم ما هو إلا جزء يسير من جوانب تلك الآية الكريمة التى يخاطب بها نوح قومه من الكافرين الذين يرفضون الاستما ع اليه واضعين أصابعهم فى آذانهم مصرين مستكبرين استكبارا ، أن يقال لمثل هؤلاء الكافرين إنهم كانوا نطفة فعلقة فمضغة الى غير ذلك حتى أخرجهم الله طفلا ـ لا يقاس بتذكيرهم بأنهم كانوا كائنات دنيئة ، ثم تولاهم الله برعايته بتطويرهم الى كائنات أكثر رقيا الى أن أكرمهم الله بصورتهم الآدمية بعد أن مروا فى طريق طويل فى أطوار حيوانية شتى »

وتطويع الآية لهذا المفهوم الذى يذهب اليه مرفوض من عدة وجوه :

أولا : أن أحسن تقويم لا تعنى انه كان معوجا قبل ذلك ، أو لم يكن مستقيما كما هى حالته الآن ، وإنما المقصود ـ والله أعلم بمراده ـ أن الله خلقه منذ سواه بشرا سويا ، أى منذ آدم عليه السلام الذى بدئ به خلق الانسان ، سواه فى أحسن صورة وأجملها من استواء القامة وتناسب الأعضاء والاتصاف بالحياة والعلم والقدرة والارادة والتكلم والسمع والبصر وغير ذلك ، لأن الله كرم آدم وبنيه وفضله على سائر مخلوقاته التى كانت منكبة على وجهها وغير مستوية القامات ، فضلهم عليها شكلا ومعنى [١]

ثانيا : إن أى حذف فى اللغة لابد له من مقتض ، وليس هناك مقتض لحذف الموصوف وذكر صفته فى قوله جل شأنه : ﴿ فى أحسن تقويم ﴾

---

(١) ويؤيد ذلك ايضا قول ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ٦ ص ٣٦٥ ﴿ فى أحسن تقويم ﴾ : فى أحسن خلق .

ليكون الاصل في تقويم أحسن تقويم إلا المقتضى الذى هو في ذهن المؤلف فقط ، وحتى لو كان هناك حذف مع أنه لا مسوغ له فلا تدل الاية على ما يذهب إليه من تطور التعديل والتقويم في خلق الانسان ، مع أن ذلك لا يقتصر على الناحية الشكلية فقط ، بل يدخل فيه تقويمه معنويا أيضا من حيث العلم والإرادة والحياة كما ذكرت ﴿ **فجعلناه سميعا بصيرا** ﴾.

ثالثا : لم يذكر الطبرى ـ كما جاء في عبارته التي نقلها عنه ـ أن في الآية حذفا ، وعبارته لا تؤدى إلى ذلك ، وانما توهم المؤلف الحذف ليصل إلى غرضه مع أنه لا يحقق مراده كما ذكرت .

رابعا : تفسير الأطوار في قوله سبحانه : ﴿ وقد خلقكم أطوارا ﴾ تفسير خاص يذهب اليه ليدعم وجهة نظره في تطور الخلق ، وهو تفسير لم يرد به قرآن ولا سنة ، بل انه يتعارض مع الفهم الصحيح لما جاء في الكتاب والسنة .

خامسا : أما ما ذهب إليه من أن أطوار الجنين في رحم أمه لا تقاس بتذكيرهم (قوم نوح) بأنهم كانوا كائنات .. الخ فان الآيات التالية بعد ذلك تذكرهم بما هو أعظم وأدل على المقدرة الباهرة ، وعلى نعم الله عليهم وعلى بني الانسان عامة وهذا أعظم مما ذهب اليه ، اقرأ قوله تعالى في الآيات التاليـة : ﴿ **ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ، وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ، والله أنبتكم من الأرض نباتا ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا ، والله جعل لكم الأرض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا** ﴾ .

وصدق الله العظيم ﴿ **لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ (غافر ٥٧) وفي الآيات اشارة أخرى الى المرحلة البعيدة في خلق الانسان بخلق أبيه الأول (آدم) من الأرض ﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتا ﴾ والى المرحلة القريبة في خلقه ، وهي المرحلة الجنينية المباشرة [١] ، ومجموع المرحلتين بما في الثانية من أطوار ، وبما في الأولى من تسلسل من الأب الأول آدم ﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ﴾

---

(١) وهي ضمن مرحلة الأطوار المفهومة من قوله سبحانه : ﴿ وقد خلقكم أطوارا ﴾

مجموع هاتين المرحلتين وما اكتنف كلا منهما يمثل الأطوار فى قوله جل شأنه : ﴿ وقد خلقكم أطوارا ﴾ (وهذه الآية كررها المؤلف اكثر من مرة يؤكد بها فكرته فى تطور الخلق على النحو الذى يراه) .

كما أن فى الآيات السابقة اشارة الى التدليل على إمكان البعث يوم القيامة بأن الله أنشأهم من الأرض ، ثم يعيدهم فيها بالموت ثم يخرجهم منها للبعث ، فالقادر على الإنشاء من الأرض أول مرة قادر على النشأة الآخرة بالبعث ، فأى دليل بعد هذا كله يدل على قدرة الخالق وعظمته وفضله على قوم نوح وعلى سائر البشر أجمعين ؟ وهل بعد هذا كله مازالوا محتاجين للتدليل على قدرة الله وعلى فضله الى أن يخبرهم القرآن الكريم بأنهم كانوا قردة فطورهم الله الى أناس أو بشر كما يرى المؤلف ؟؟ .

ثم يفسر المؤلف تكريم الله لبنى بآدم (ص ٢٤١) فى الآية الكريمة : ﴿ولقد كرمنا بنى آدم ... ﴾ (الاسراء ٧٠) أنه تكريم من حيث انقراض الصور السابقة التى كان عليها الانسان فيما سبق والتى أطلق عليها أناسى وأشباه الناس وأشباه الانسان حيث لم يبق الآن الا الصورة المثلى للناس والانسان والتى تمثلت ايضا فى البشر .

وهذا تفسير يجافى الحقيقة أيضا ، ويتفق فقط مع الهدف الذى سعى إليه المؤلف من أول الكتاب إلى آخره ، لأن القرآن الكريم كرم بنى آدم بأن جعلهم فى أحسن تقويم كما وضحت قبل ذلك ، ومنحهم العقل والعلم والارادة وجعل الانسان سميعا بصيرا ، وسخر له كل ما فى الأرض ، وجعله يتمتع به ومكنه من سائر الصناعات ، والإفادة من الأرض والسماء وغير ذلك مما لا يحيط به وصف .

ثم يستطرد المؤلف بعد ذلك (ص ٢٤٢ وما بعدها) ليؤكد فكرته فى التطور التى ذكرها وكررها مرارا عديدة لإحساسه أنها غير مقبولة مهما حاول تدعيمها لتعارضها مع الفهم المستقيم لنظم القران الكريم الذى هو سر إعجازه .

وفى ص ٢٤٧ يردد مرة أخرى ما قاله حول الآية الكريمة : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها** ﴾ من

أن النفس هنا يراد بها النوع والجنس لا آدم ، وأن خلق منها زوجها يعنى من نوعها وجنسها ، ويقيس ذلك على قول بعض المفسرين فى قوله تعالى ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم .. ﴾ أى رسول من جنسكم ونوعكم آدمى مثلكم.

ونعيد على مسامعه ما قلناه سابقا وهو أن اللفظ يفسر معناه على حسب نظمه وسياقه ، ولا يمكن أن يراد به معنى واحد فى جميع المواقع كلفظ انسان مثلا ، فهو يفسر أحيانا بآدم وأحيانا أخرى بالفرد من ذريته أو يكون محتملا للاثنين معا وذلك على حسب موقعه فى السياق كما سبق أن تعرضنا له فى هذا البحث ، لأن الدلالة المعجمية للفظ المفرد تبقى ساكنة صامتة فيه الى أن يوضع اللفظ فى سياق معين ، فتتحرك هذه الدلالة وفقا لمقتضيات هذا السياق.

واليك مثالا آخر أوضح به ما أقول : ان لفظ الكفار يطلق على الكفار بالله سبحانه وتعالى كما يطلق على الحراث أو الزراع ، لأن الدلالة المعجمية للفظ (كفر) ستر وأخفى ، والكافر يستر ويخفى الفطرة الصحيحة التى فطره الله عليها (كل مولود يولد على الفطرة) ويظهر العقيدة الباطلة والحارث أو الزارع أيضا يشق الأرض ويحرثها ويضع فيها البذر ثم يستره بالتراب ، وإذا كان اللفظ فى ذاته صالحا للدلالة على المعنيين فما الذى يحدد أحدهما دون الآخر ؟ السياق هو الذى يحدد ذلك ، ففى قوله تعالى **﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾** (البقرة ١٦١) أى كفروا وماتوا على هذه العقيدة الباطلة التى أظهروها وستروا العقيدة الصحيحة .

وفى قوله تعالى : **﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما .. ﴾** (الحديد٢٠) الكفار هنا هم الزراع أو الحراث بدلالة السياق كما هو واضح [1] ، والأمثلة على ذلك عديدة وكثيرة لا تخفى على من له دراية بنظم الكـــلام فالنفس فى

---

(١) انظر تفسير ابى السعود ٨ / ٢١٠ .

.الآية الكريمة ﴿ خلقكم من نفس واحدة ﴾ هي آدم ، وأما في الآية الأخرى ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ فهي بمعنى النوع والجنس.

هذا فضلا عن أن القياس مع الفارق من جهة أخرى ، لأن النفس في الآية الأولى وصفت بالواحدة وكانت نكرة مما يدل على أن المراد وحدة الذات كما سبق أن ذكرت في قوله جل شأنه : ﴿ إنما هو إله واحد ﴾ وأما النفس في الآية الثانية فهي معرفة مضافة إلى ضمير المخاطبين ، الأمر الذي يدل على أن المراد من جنسكم ونوعكم[1] فما قاله المفسرون في ذلك صحيح ، ولكنه لا يصح القياس عليه في الآية الأخرى .

ويقول في (ص ٢٤٧ ـ ٢٤٩) :

﴿ **وإذا كنتم أيها المعترضون** ﴾ (أي على نظرية التطور التي يقول بها مع القائلين) لازلتم في ريب مما أقول وما يؤيد ما ينادي به علماء اليوم أرجو أن تعودوا إلى قراءة هذا الكتاب (لقد عدنا اليه مرات عديدة) وأن تعطونا تفسيرا مقنعا لكثير من الآيات .

وهذه الآيات التي يذكرها هنا سبق أن تناولها في ثنايا البحث آية آية في مواضعها التي أوردها في الكتاب ، وكما ذكرت فإن المعنى المراد من اللفظ يتحدد على حسب سياق اللفظ في الآية ، وعلى ذلك فان اللفظ الواحد يتكرر في مواقع عدة ، ولكنه يفسر في كل موقع وفق سياقه في هذا الموقع ، وقد ذكرت في هذا البحث أمثلة بعيدة وقريبة لذلك .

ولا بأس من التعليق المختصر الموجز على كل آية أوردها هنا ، ويرى فيها إشكالا أو في مجموعها لا يحل إلا بربطها بنظرية دارون ، لا بأس من إيرادها لتكون بمثابة المحصلة النهائية ، والركائز الأساسية لهذا البحث ولبيان الوجه الصحيح في فهمها .

﴿ **قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** ﴾ (البقرة ٣٠)

---

(١) أي يعرفون نسبة وصدقه فلم يكذبونه ؟ وهذا على حد قوله سبحانه : ﴿ منذر منهم ﴾ وقوله ﴿ بعث في الأميين رسولا منهم ﴾ كما سبق .

ليس المقصود بمن يفسد فى الأرض ويسفك الدماء إنسانا سابقا على آدم كما يرى ، ولكنه آدم نفسه ومن تناسل منه ، وقد علمت الملائكة ذلك من عدة أوجه ذكرت فى موضعها ، ويؤيد هذا ايضا التعبير بالمضارع دون الماضى فى (يفسد ويسفك) .

﴿ هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ، إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا﴾ (الانسان ١ ـ ٢) .

الانسان هنا يصلح أن يكون المراد به من هو من ذرية آدم حيث لم يكن شيئا مذكورا قبل تكوينه فى بطن أمه ، أو لم يكن شيئا مذكورا فى مراحل تكوينه فى بطن أمه قبل أن يخرج إلى الوجود ، وليس معنى : لم يكن شيئا مذكورا لم يكن شيئا ذا قيمة كما يذهب المؤلف ، ويجوز أن يكون الانسان هنا هو آدم ، فقبل خلقه لم يكن شيئا مذكورا .

وأما الانسان فى الآية الثانية : فلا يراد به إلا الانسان من ذرية آدم فقط خلافا لما يرى المؤلف من أنه آدم وقد خلق من نطفة كسائر البشر .

﴿ قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ..(العنكبوت ٢٤) أى كيف أنشأهم من هذه الأرض التى يسيرون عليها ، حيث خلق أباهم من ترابها ، تناسلوا منه على أشكال وألوان ولغات مختلفة ، وهذا ما يوحى به ترتيب الأمر بالنظر على السير ، ويرى المؤلف أن الآية تشير إلى قوانين الخلق وتطور الخلق على النحو الذى تذهب إليه نظرية دارون .

﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا ﴾ (الاعراف ١١٥) .

تتحدث الآية أيضا عن خلق آدم ، لأننا جميعا خلقنا دفعة واحدة بخلقه حيث كنا مطمورين فى خلقه ، فكان خلقه خلقا لنا ، ثم خلقنا خلقا آخر ملموسا محسوسا عندما تناسلنا من ذريته ، وللآية سياق معين نبهنا اليه فى موضعه ، وهو الذى اقتضى التعبير عن خلق آدم وتصويره بصيغة الجمع لا

الافراد .

﴿ **وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه**﴾ (السجدة ٧ ـ ٩) .

الآية تتحدث عن خلق آدم فى قوله : ﴿ **وبدأ خلق الانسان من طين** ﴾ ثم تتحدث عن تناسل ذريته منه عن طريق الماء المهين على خلاف ما يرى المؤلف أنها تتحدث فى ﴿ **و بدأ خلق الانسان من طين** ﴾ عن انسان ما قبل آدم ، وأما النسل فهو آدم الذى تناسل من هذا الانسان .

ثم يقول المؤلف (ص ٢٤٨) :

« نقول لكم اذا كنتم تفسرون كلمة الانسان فى الآيات الآتية على أنها آدم :

﴿ **خلق الانسان من صلصال كالفخار** ﴾ (الرحمن ١١) .

﴿ **ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون** ﴾ (الحجر ٢٦) .

﴿ **هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا** ﴾ (الانسان ١) .

فلماذا لا تفسرون كلمة الانسان على أنها آدم أيضا فى الآيات الآتية : ﴿ **أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة ..**﴾ (يس ٧٧) .

﴿ **إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج ..** ﴾ (الانسان ٢) .

علما بأن تلك الآية الأخيرة تأتى مباشرة فى نفس سورة الانسان بعد قوله تعالى : ﴿ **هل أتى على الانسان حين من الدهر** ﴾ .

نقول له : إن الذى يمنعنا من ذلك هو الفهم الصحيح للغة القرآن الكريم ولمقتضيات النظم والسياق على النحو الذى ذكرته حول هذه الآيات فى البحث.

ثم يقول فى نفس الصفحة والصفحة التى تليها :

« دعونا نستمع معا إلى قوله تعالى ﴿ **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين** ﴾ (المؤمنون ١٢) .

أليس معنى تلك الآية أن هذا الانسان ـ سواء هو آدم أو هو الانسان عامة ـ هذا الانسان قد خلق من سلالة من طين ، أى انه خلق عن أجداد وأجداد يعودون به الى الوراء الى الماضى البعيد الى منشأ الحياة إلى الطين إلى بداية المخلوقات فهل بعد ذلك نجادل كما يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فيما وضعه الخالق بما وضعه مخلوق ؟؟ » .

ونقول نحن : إن الانسان المذكور فى الآية الكريمة ـ كما ذكرنا من قبل ـ ليس آدم ، وليس الانسان عامة ، وإنما هو الانسان المتناسل منه ، وقد خلق من الطين باعتباره سلالة لمن خلق من الطين وهو آدم أبو البشرية جمعاء ، وآدم مخلوق من تراب ، أو من طين كما نص القرآن الكريم صراحة فلا داعى لإخراج النصوص عن ظواهرها حتى تساير نظرية دارون .

فالآية هنا تشير إلى الأصل البعيد لخلق الانسان المتناسل من ادم ، ثم تنص على الأصل القريب الذى نشأ منه مباشرة بقية الآيات الأخرى فى نفس السورة، وهى قوله تعالى : ﴿ **ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ (المؤمنون ١٢ ـ ١٤) و قد سبق أن ذكرنا ذلك [١] .

وفى نهاية الكتاب يقول : (ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠)

والآن أيها الإنسان البشر ، يا ابن آدم ، يا من تسكن فى الشرق أو فى الغرب فى الشمال أو فى الجنوب .. إننى أدعوك سواء أكنت عالما أم غير عالم ، قارئا أم أميا ، عربيا أم أعجميا ، مؤمنا أم غير مؤمن مسلما أم غير مسلم ، أسود أم أصفر أم أبيض . .. أدعوك أن تطرح عنجهيتك جانبا ، وأن تخفض من كبريائك ، وأن تعطى غرورك إجازة قصيرة أو دائمة وتعود إلى الحق والرجوع

---

(١) ويمكن أن يكون المراد من الإنسان فى هذه الآية الكريمة آدم أيضا ، ومعنى خلقه من سلالة من طين أنه لم يخلق من الطين على صفته الطينية ، بل خلق منه بعد تطوره وتحوله إلى حمأ مسنون ثم صلصال ، ويكون مرجع الضمير فى ﴿ ثم جعلناه نطفة ﴾ إلى ذرية آدم كما سبق ، وبذلك تجمع الآية بين كل مراحل الخلق ، وإن كان الاحتمال الأول أولى وأقرب .

إليه فضيلة وأن تعـترف معى أنك حلقة أخيرة (حتى الآن) فى سلسلة من عالم الحيوان ، ولاتك كبعض الناس اذا من اللـــه عليهم بمال وفير ، أو نفوذ كبير أو جاه عريض أو شهرة مدوية أو مركز مرموق عندئذ يتبرأون من آبائهم أو يتنكرون لعائلاتهم ، ولا يتذكرون من أى أصل نبتوا ولا إلى من ينتـــمـــون ؟ .

أيها المسلم فى مشارق الأرض ومغاربها تمسك بكتابك الكريم ، بقرآنك المجيد ، وأشهره كالسيف فى وجه من يريدون أن يشدوك دائما إلى الوراء متخلفاعن ركب العلم ، ويقيدوك بسلاسل من تفسيرات عتيقة متوارثة ، وإذا كان لهم عذرهم بالأمس فاطلب منهم أن يعملوا الفكر فإن التطور هو سنة الحياة[1] .

أشهر كتابك كالسيف فى وجه علماء اليوم ، وقل لهم إن ما نادى به زملاؤكم منذ قرن من الزمان أو يزيد قد نزل به نبينا الكريم منذ ألف وأربعمائة عام ، ادعهم إلى الإيمان ، وقل لهم : اذا كنتم لم تؤمنوا بالأمس بسبب ما نادى به لفيف من رجال الدين فآمنوا اليوم بالواحد الأحد ، آمنوا اليوم اذ لا انفصام بين العلم والدين .

﴿ وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادى الذين آمنوا إلى صراط مستقيم ﴾ .

وتعليقنا على هذا القول : أن دعوتك ــ أيها المؤلف ــ الى التمسك بالكتاب الكريم دعوة حق أريد بها باطل ، فنحن ــ والحمد لله ــ نتمسك به ما استطعنا، ونحرص على فهمه الفهم الصحيح بقدر طاقتنا البشرية ، وباللغة التى نزل بها قبل أن نقول شيئا فيه .

والقرآن الكريم هو المنهل العذب للعديد من الدراسات الفقهية والعقدية والعلمية ، ولكن بشرط أن يكون الدارس لأى ناحية من النواحى عنده مفتاح هذه الدراسة ، وهو الفهم الصحيح للغة القرآن الكريم ، وأكرر ما قلته سابقا :

---

(١) هذا هو مدار فكرة المؤلف وسائر التطوريين الداروניين

إن هذا المؤلف أو غيره من الباحثين فى العلوم الطبيعية والكونية وغيرهما لو ارتكزوا فى أبحاثهم على مرتكز سـليم من هذه اللغة ووقفوا على أسرار وأنماط التعبير فيها ، وأسرار النظم فى آى الذكر الحكيم ـ كما كان عليه أسلافنا ـ لا يستطيع أحد أن ينكر اجتهاداتهم فيما لا قطع فيه حتى لو جانبهم الصواب فيها ، فالقرآن الكريم لا يجافى العلم ، بل يدعو إليه ، ويحث عليه كما ذكرت فى المقدمة ، ويحث أيضا على التأمل فى ملكوت السموات والأرض ، ولا مانع من الاستبصار بالعلم فى فهم بعض آياته لكن شريطة ألا يكون هذا الفهم على حساب اللغة التى نزل بها ، كما صنع صاحبنا فى التفرقة من حيث المدلول بين ألفاظ (أناسى وأناس والناس والانسان والبشر) على غير سند صحيح من اللغة ، بل أعلن صراحة أنه سيتجه فى تفسير هذه الألفاظ اتجاها آخر غير ما تقول به معاجم العربية وأساطين اللغة .

ولذلك كانت هذه هى النتيجة والمحصلة فى هذا الكتاب من أوله إلى آخره ، حيث بنى كل تفسيراته ونتائجه على هذا الفهم المجافى للغة التى نزل بها القرآن الكريم ، وما بنى على باطل فهو باطل .

وصدق الله العظيم : ﴿ **إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون** ﴾ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الغر الميامين ، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د. عبد الجواد محمد محمد طبق
عضو هيئة التدريس بكلية اللغة العربية
جامعـــة الأزهر
الزقازيق / ٦ من رجب ١٤١٣ هـ
/ ١ / ١ / ١٩٩٣ م

*** *** ***

أهم مراجع الدراسة

أولا : القرآن الكريم .

ثانيا : المراجع الأخرى .

١ـ أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني . شرح وتعليق محمد رشيد رضا.

٢ـ أمالي المرتضى ، الشريف المرتضى . دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧ م .

٣ـ تفسير أبي السعود المسمى : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . دار احياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان .

٤ـ تفسير البيضاوى مع حاشية الشهاب الخفاجي دار صادر ـ بيروت .

٥ـ تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر عاشور الدار التونسية للنشر .

٦ـ تفسير الكشاف المسمى : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل . مطبعة محمد مصطفى ـ القاهرة ١٣٠٨ هـ .

٧ـ خصائص التراكيب . د. محمد محمد أبو موسى . مكتبة وهبة بالقاهرة

٨ ـ دراسات فى علم المعانى فى ضوء النظم القرآنى . د. عبد الجواد محمد محمد طبق ، مطبعة الأمانة بالقاهرة ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦ م .

٩ـ دلائل الاعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني . شرح وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي .

١٠ ـ روح المعانى للألوسى ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

١١ـ صحيح البخارى ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت . لبنان .

١٢ ـ فتح البارى لابن حجر العسقلاى ـ شرح صحيح البخارى ـ دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت ـ لبنان .

١٣ ـ الفروق فى اللغة ـ أبو هلال العسكرى ـ منشورات دار الآفاق الجديدة ـ

بيروت .
١٤ ـ القاموس المحيط ـ الفيروز أبادى .
١٥ ـ كتاب الأضداد ـ ، لابن الأنبارى .
١٦ـ لسان العرب . لابن منظور المصرى .
١٧ـ المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير تعليق د، أحمد الحوفى
ود. بدوى طباعة .
١٨ المصباح المنير للفيومى .
١٩ ـ المطول ـ سعد الدين التفتازانى .
٢٠ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

*** *** ***

فهرس تفصيلي لأهم مسائل البحث

رقم الإيداع ٣٠٦١ / ٩٣

I.S.B.N : 977 - 5101- 57-60 - 3